

الشيخ جعفر حسن عتريس
رايات أهل الولاية
في عصر الظهور
الرايات الفرعيَّة: الأبدال والعصائب والنجباء
وتحالفهم الكبير مع دولة خرسان التي توطّئ للمهدي سلطانه
دار المحجة البيضاء

رايات أهل الولاية في عصر الظهور

الرايات الفرعيَّة : الأبدال والعصائب والنجباء . وتحالفهم الكبير مع دولة خراسان التي تُوَطِّئ للمهدي سلطانه

الشيخ جعفر حسن عتريسي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هجريَّة - ٢٠٠٧ ميلاديَّة

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظة منهجيَّة :

محور الكتاب قام على مناقشة موضوع « الأبدال » من جوانبه المختلفة ، إلا أنّه تشعَّب بقوَّة إلى العصائب والنجباء ، من هنا فقد استحقَّ إسم « الرايات الثلاث » ، مع الإشارة إلى تركيزه المحوري على الأبدال .

راية الأبدال والعصائب والنجباء

أهميَّة مناقشة موضوع « الأبدال » والعصائب والنجباء ، تكمن في أنَّ لهم حضوراً متعاظماً في « عصر الظهور » المبارك لمولانا المهدي عجل الله فرجه الشريف .

وحتى تكون التسميةُ واضحةً بخصوص الأبدال ، فإنَّ جبهة أو حركة أو دولة « الأبدال » الإماميين ، الموالين لآل الرسول عليهم السلام ، والمنادين بالمهديِّ عليه السلام ، تكون في ناحيةٍ من بلاد الشام التاريخيَّة ، ويبدو كما سترى أنَّ « لبنان » سيكون موقعاً رئيسيَّاً لها . أو على الأقلّ سيُشكِّل « مركز النفوذ » لهذه الراية المهمَّة في آخر الزمن ، ما يعني أنَّ « لبنان » ، وبالأخصّ « جبل عامل » ، سيُشَكِّل رمز هذه الجماعة الممدُوحة ، والتي سيكون لها دور مهمٌّ جداًّ في عصر الظهور العظيم .

إنَّ هؤلاء الأبدال سيُشَكّلون جبهةً وحركةً جهاديَّةً إيمانيّةً نادرة ، في عالمٍ مُتَرَهِّل بالعدالة ، غارقٍ بالظُّلم ، تتقاطعُهُ خطوط القتل والإبادة والطغيان والإنحراف والفساد المُتَنَوِّع .. إلا أنَّهم ليسوا « الأوحدين » في ذلك العالم ، فهم – رغم غربة الإسلام وطغيان أهل الجبروت والباطل – يُشَكّلون موقعاً إضافيّاً ، مع « عصائب » أهل العراق ، و« نجباء » أهل مصر ، ليأتي من فوقهم ، دولةُ مركزٍ قويَّة ، (دولة أهل خراسان) التي تتمتَّع بنفوذٍ متعاظمٍ ، وثباتٍ كبير ، فيمَا نُطلقُ عليه اليوم إسم « الشرق الأوسط » ، حيث تُجاهر بقيامِ دولتِها ونظامِها وقوانينها على مواثيق الإسلام الشريف ، والولاء لآل محمَّدٍ ﷺ ، وتضع جميع قدراتِها وطاقاتِها الكبيرة ، في سبيل التوطئة لصاحبِ الزمان الإمام المهدي عجَّل الله فرجه .

وحتى تكون الصورة واضحةً لهذه الحقبة بالذات ، لا بدَّ من الإشارة إلى « النتائج الروائيَّة » التي تُحدِّدُ تاريخاً لافتاً في هذا المجال ، منها :

- عالم آخر الزمان – بالإجمال – يمتازُ بشكلٍ واضحٍ بقيَمِه ومعالمِه الإنحرافيَّة الصاخبة في المواثيق والأعراف والتطبيقات ، بدءاً من السلوك الأخلاقي وفلسفة الحُكُم ، وصولاً إلى المال والأعمال والفهم الوجودي ..

- تؤكِّد النصوص أنَّ عالم آخر الزمان ، هو عالمٌ متطوِّر (تكنولوجيّاً) ، فيه من الأدوات (التقنيَّة) ما يخوِّلُه الظنَّ أنَّ ناسَهُ قادرون على الأرض .. لكن دون أن تتمَّ « هندسة » هذا التطوُّر الهائل على

مستوى العدالة الميثاقيَّة والتطوُّر المعرفي على قاعدة فلسفة الوجود والمذاهب الإجتماعيَّة والنظريَّات الأخلاقيَة التي تنحدر بشكلٍ جبَّار ، وتتحوَّل مع القوى وطاقاتها إلى أداة قمع وإبادة وحروب وغزو واستثمار ، وميادين سوق ، وتجارة أرباح ، دون أيِّ قيمة رئيسيَّة للإنسان سوى أنْ تمتلك مالاً أو تحوز قوَّةً ، أو تنقاد في بحر الغرائز التي تُشَكِّل سمة السوق الجديدة في ذلك الزمن ..

- المشهد السياسي في ذلك العالم يقوم - كما هو واضح من الروايات - على تعدُّديَّة الدُّول ، لكنَّ قيادة النظام السياسي ، يبدو جليَّاً أنَّها تخضع لنفوذٍ لافتٍ من قِبَل الروم (الغرب المسيحي) ، كما تُعطي النصوص « التركَ » ، دوراً مهمَّاً ، بارزاً خاصَّةً في الشرق (مقابل الغرب) ، وتؤكِّد إصرار روما ومحاولاتها للسيطرة والغزو وإحكام السيطرة على الشرق المتمثّل في دول الإسلام (الشرق الأوسط ، بل الأعم منه) ، وبالأخص ما نُطلق عليه اليوم إسم « منطقة النفط » في الشرق الأوسط .. لكنَّ الروم والترك ليسا كلَّ القوى ، بل هناك قوىً كبرى مختلفة ، منها على سبيل المثال : جبهة يأجوج ومأجوج القوَّتين اللتين يتأخَّر زحفهما الحربي إلى أوقاتٍ متأخِّرة .. في حين هناك قوَىً ذات قدرات إقليميّة عظمى ، ونفوذ لافت على مستوى التأثير بالأحداث العالميَّة مثل « دولة خراسان » ثمَّ هناك جبهة الدجَّال

(جبهة رموز قادتها من اليهود) التي تتعزَّز بعد هزيمة « الروم » الساحقة على يد المهدي عليه السلام ، وذلك عبر تجمُّع فلول الروم مع قوى لافتة في الشرق (يبدو أنَّه الجزء الأوروبي الشرقي وربما أيضاً جزء من آسيا القريبة من الشرق الأوروبي) تحت لواء الدجَّال ليشكِّلوا جبهة ذات نفوذ قويٍّ أوَّلَ أمرها . [لاحظ : القوَى الكبرى ذات الصفِّ الأوَّل والثاني متعدِّدة في آخر الزمان مع أفضليَّة ما ، للروم ، إلى ما قبل نهايتها الهائلة على يد الإمام المهدي عليه السلام] .

- بخصوص المسلمين ..؟ يبدو من النصوص أنَّهم يكونون أمَّة كبيرة بتعدادها ، لكنَّهم كيانات مُشتَّتة ، ودول متعدِّدة ، لكلٍّ حاكمٌ وسلطان ، في العراق حاكم ، وفي الحجاز حاكم ، وفي دمشق حاكم ، وهكذا في شتَّى مناطق الإسلام ، ولستُ أعني بالحجاز الحجاز التاريخي ، ولا بالعراق العراق التاريخي ، لأنَّ « التجزأة السياسيَّة » يبدو أنَّها ستكون غالبةً على بلاد المسلمين . كما أنَّ بلاد الشام يبدو أنَّها تكون مجزَّأةً سياسيَّاً . وهكذا .. ثمَّ على مستوى « قوَّة المسلمين » .؟ يبدو واضحاً أنَّهم ضعفاء ، يعيشون هشاشةً ظاهرة في ذلك العالم الذي تقودُه الروم وجملة من قوى الصفِّ الأوَّل . بل يكونون هدفاً لتجييش الجيوش ، مرَّةً لنهب ثرواتهم ، ومرَّةً لإنهاكهم واستئصال دينهم ، ومرَّةً لتحويلهم إلى مجرَّد ثكنات موقعيَّة للقوى الكبرى ، ويكفي أن نقرأ « رايات »

حرب قرقيسيا[1] ، وما بعدها ، ثمّ الحروب المتتالية ، لنجد تشتّتَ الجيوش المسلمة الضعيفة ، وولاءاتها الغريبة الشرقيّة ، إلا قلّة قليلة تبقى على الحقّ في ظلّ غربة واضحة للإسلام في النّظام الدولي الذي يبدو أنّ الروم تحتلّ موقعاً متقدّماً فيه . وهنا لا بدّ من الإشارة الواضحة إلى أنّ الإسلام كدين وشريعة ، يكون معزولاً بشدّة في العالم ، بما فيه العالم الإسلامي ، إلا من قلّة قليلة تبقى على الإسلام رغم اللواء والجهد الذي يصيبها ، على أنّ دولة خراسان تكون دولة مركز قويّة ثابتة على الحقّ والإيمان ،

[1] هي معركة هائلة ، تقع بسبب خلاف على ثروة جوفيّة مهمّة جداً ، ينكشفُ عنها الفرات ، في المثلّث العراقي التركي السوري ، وتكون فيها الرايات أوّل الأمر لبعض الدول العربيّة ، تتصارع لصالح ولاءات واسعة تتّسع لقوى ما وراء البحار ، ثمّ وفي لحظة حرجة تتدخّل الروم والترك وجملة من القوى الأخرى لحسم الصراع ، لكنّ الحرب تتّسع ، وبقعتها تتوسّع ، والجيوش تتكاثر ، وتطرأ أحداث إقليميّة كبيرة ، وتاريخيّة ، ويبدو أنّ الروم تزجُّ بجيوش حلفاءها وجيوشها في تلك الحرب ، في ظل عمليّة يُراد منها السيطرة على مواقع ذات ثروات جوفيّة مهمّة للغاية ، كما أنّها ذات أهميّة إضافيّة من الناحية الإستراتيجيّة ، وعلى الأثر تتغيّر موازين القوى الإقليميّة ، خاصّةً أنّ دولة خراسان المهمّة للغاية ، وهي الدولة الدينيّة الإسلاميّة الموالية لآل محمّد ﷺ والتي تصرُّ على هذا الخيار تتدخّل في أوقات شديدة الحساب والدقّة ، إلى درجة أنّها تغيّر معادلات رئيسيّة في الشرق الأوسط ، لكنّ الموازين تعود لتتغيّر نسبيّاً ، مع حركة السفياني المدعومة من الروم ، مع ثبات واضح في قوّة « دولة خراسان الإماميّة » والحركات الجهاديّة المتعددة التي تدعمها خراسان ، والتي تتوزّع في منطقة الشرق الأوسط ، بدءاً من أكناف بيت المقدس (لبنان ونواحيه باتّجاه فلسطين) ، مروراً بمصر ، وصولاً إلى العراق ، ما يعني أنّ خريطة الحرب والصراع تكون على نحو ساخن جداً ، وذات موازين وتكوينات تتغيّر بشكلٍ نسبي ، لتعود وتتغيّر بشكلٍ كبيرٍ مع إعلان قوّة اليماني التي تزحف بجيشها من الحجاز ، في حين يزحف الجيش الخراساني نحو العراق ، ثمّ نحو دمشق ، مع ضميمة باقي الحركات الجهاديّة ، مثل الأبدال والعصائب والنجباء ، لتُكوِّن أعظم قوّة شرق أوسطيّة تسيطر على الشرق الأوسط ، ومنه تبدأ المرحلة الجديدة في إعادة هندسة الكون البشري .

ومــشهورة بولاءهــا للإســلام المحمَّــدي الأصــيل وأهــل بيــت النبيِّ ﷺ رغم العناء الذي يُصيبها في ذلك العالم الظالم الجائر ..

- أمَّا أخلاقيَّات ذلك الزمن ..؟ فيظهر جليَّاً من الأخبار المرويَّة أنَّها تكون على نحوٍ هائلٍ من الإنحراف الغرائزي ، وأنَّ الروم - بالإضافة لجملة واسعة من قوَى العالم - تُشكِّل بطل القيادة الغرائزيَّة التحوُّليَّة الشاذَّة وغيرها . في ظلِّ قرصنةٍ حقوقيَّة ، تجد مبرِّرها في « المنافع والأسواق » وليس في « المبادئ والأفكار » ، كلُّ ذلك دون أيِّ مرجعيَّةٍ عالميَّة عادلة أو رؤية وجوديَّة فاعلة ..

- في كنفِ ذلك الزمن تتشكَّل « معالم الطغيان » على أنحاء مختلفة ، منها الحرب والغزو والقتل والإبادة ، وفق معايير القوَّة وشروطها ، دون أيِّ مرجعيَّة حقوقيَّة ، أو قوَّةٍ عالميَّة عادلة ، بالإضافة إلى الجوع والمرض ، والتخريب الهائل لناموس الطبيعة وقوانينها ، بحيث يظهر جليَّاً أنَّ الإنسان أساء بشكلٍ مثيرٍ بحقِّ نفسه وحقِّ الطبيعة ومساره الوجودي[1] .

وعليه : في ظلِّ هذا « العالم » المتمادي بالإنحراف والتخريب ، والطغيان والإستبداد ، والفسق والفجور ، يبدو موقع الأبدال ، وأهل خراسان ، والعصائب العراقيين ، والنجباء المصريين ، ومَن تبعهم ، وناسٌ هنا

[1] للوقوف بالتفاصيل اللافتة جداً على هذا الموضوع يمكن مراجعة كتابنا : نهاية أحداث التاريخ البشري (٣ أجزاء) .

وهنـاك ، يبـدو علـى نحـوٍ مـن خـصوصيَّة تاريخيَّـة شـديدة الأهميَّـة . فهـم سيُشكِّلون « الظاهرة التاريخيَّة » المهمَّة ، التي تصرُّ على كتابـة هويَّـة الكـون بلُغةٍ أخرى ، رغم الطغيان الأممي الهائل .. ويبذلون في سبيل ذلك تضحياتٍ عظيمة .

ففي آخر الزمان – وباتفاق الرواية التوراتيَّـة الإنجيليَّـة والإسـلاميَّة – ستكون المنطقة التي نُطلق عليهـا اليـوم إسـم « الـشرق الأوسـط » وبـالأخص المنطقة التـي نـسمِّيها اليـوم « منطقـة الـنفط » مع ضـواحيها ، سـتكون محـلاً لأعمالٍ حربيَّة كبيرة ، وضغوطٍ اقتصاديَّةٍ ومعيشيَّة وصراعاتٍ متتالية .

وأنَّ حرب « اللاهوت السياسيّة » ستكون جزءً من هذه الـصراعات ، ما يعنـي أنَّ خطـوط الـصراع الملتهبـة ، وأطمـاع الـروم والتـرك وغيرهـا مِـن القوى العالميَّة والإقليميَّة ، ستُحَدِّد أهدافها في منطقةٍ واسعة ، ضـمن جـدول زمني حسَّاس ، في إطار مناطق أوسطيَّة متنوِّعة ، منها منطقة « بيـت المقـدس » وأكنافـهِ (لبنـان) ، ودمـشق ، وصـولاً إلـى مـصر ، والعـراق ، وانتهـاءاً بخراسان ، لتبدأ هندسة معالم جديدة لمرحلة هي الأخطر في حقبـة التـاريخ الجديد ..

من هنا ، تبدو دراسة دور الأبدال والعـصائب والنجبـاء « الإمـاميين » ضروريَّةً جداً ، وذلك عبر رصد الصورة الكاملة للخطوط الفرعيَّة ، لِمَا تعنيـه هذه الرايات الموالية لآل محمَّد ﷺ في آخـر الزمـان ، والتـي يبـدو أنَّ لهـا صموداً وثباتاً وتضحياتٍ ثمينة وموقعاً يظلُّ مرموقاً حتى ظهور المهديِّ ﷺ

الذي يُشَكِّل محطَّةً هائلةً حيث يُبَايعونَ المهديَّ عليه السلام وينخرطون في قيادة « الجيش الإلهي » تحت ظلِّ مولانا المهدي عجل الله فرجه الذي سيُعيد تصميم مسار أهل الأرض على نحوٍ يُدهش أهل الكون ويضمن سعادة الوجود ..

نفوذ الأبدال

اللافت في الروايات أنَّ هناك تركيزاً على دورٍ هام للأبدال في آخر الزمن ، حيث يبدو من طائفةٍ مُجَمَّعة من الأخبار أنَّ « الأبدال » يكون لهم دورهم التاريخي آخر الزمان ، وظهورٌ لافتٌ زمن الغيبة .

فهم يقودون بعض الثورات ، وينتصرون ، ويثبتون في أمر الله ، ويُصرُّون بالدعوة إلى دين الله ودين رسوله وأهل بيته عليهم السلام ، كما يُصرِّحون بمُعَادَاتهم « الصارمة » للباطل زمنَ الغيبة ، في ظلِّ عالمٍ طاغٍ فاسدٍ ، واستبدادٍ ظاهرٍ ، وجحودٍ كبيرٍ تقودُهُ أممٌ كبرى في شرقِ الأرض وغربها ، فيعمل الأبدال ، لقيامِ أمر الله ، ويقودون جماعةً من النَّاس بعتادٍ وانتظامٍ ، يبدو أنَّ لهم قدرةً فذَّة في الحفاظ والثبات والممانعة ، بل في طائفة أنَّهم يقاتلون اليهود الغزاة ، ويقهرونهم في أوقاتٍ محدَّدة ، وأنَّهم يثبتون بقوَّةٍ موصوفةٍ على الدِّين وموالاة أهل بيت النبي عليهم السلام ، حتى ظهور المهديِّ المنتظر عجل الله فرجه .

ورغم « طغيان السفياني » ونفوذه ، في وقتٍ متأخِّرٍ من الفِتَن الجوَّالة ، وظرفٍ حسَّاسٍ جداً ، واختلاطٍ كبيرٍ لأعلامِ الحرب ، وتدخُّلٍ

صاخبٍ للروم في أحداث الشرق الأوسط ، فإنَّ « الأبدال » وفي لحظةٍ « حرجة » ، يثبتون بوجهه ، فلا تسقطُ أرضهم بيده ، رغم سقوط « الكور الخمس » بيدهِ إلا أرضهم ، بل يعصمهم الله - كما في الرواية - .

فإذا ظهر المهديُّ عليه السلام - بعد أحداثٍ جليلة ، وفتَنٍ صارخة ، وحروبٍ طاحنة وجوعٍ وخوف وبلاءاتٍ عظيمة - تسابقَ إليه « الأبدال » ، واصطفُّوا بين يديه ، وانتشروا في الأقاليم التي يريد ، وقاتلوا قتالَ المستميتين في سبيل ما يدعو إليه . في ظلِّ لحظة تاريخيَّة هائلة . وقد سجَّلت جملة مِن المتون المرويَّة هذه اللحظة الكبيرة مِن تسابق الأبدال مِن بلاد الشام ، والعصائب من بلاد العراق إلى المهدي عجل الله فرجه ، ففي رواية أم سلمة زوجة النبيِّ قالت : قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون اختلافٌ عند موتِ خليفة [الحاكم العراقي] فيخرج رجلٌ مِن أهل المدينة [المهدي عليه السلام] ، هارباً إلى مكَّة [في أوَّل الظهور الخاص] ، فيأتيه ناسٌ مِن « أهل مكة » ، فيُخرِجُونَهُ وهو كارهٌ [إشارة إلى الظروف القاهرة] ، فيبايعونَهُ بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعثُ الشام ، فتنخسفُ بهم البيداء ، بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناسُ ذلك ، أتاهُ « أبدالُ الشام » ، و« عصائبُ أهل العراق » ، فيبايعونه . ثم ينشأ رجلٌ مِن قريش ، أخواله (من) كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم [أي يظهر المهديُّ عليهم] ، وذلك بعثُ كلبٍ ، والخيبةُ لِمَن لم يشهد غنيمةَ

كلب . فيقسم [أي المهديُّ عليه السلام] المالَ ، ويعمل في الناس بسنَّة رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ويلقى الاسلام بجرانه إلى الارض ..[1] »[2] .

إذاً ، للأبدال حضورٌ مهمٌّ للغاية في « خريطة قوى آخر الزمن الأوسطيَّة » ، وبالأخص منطقة بلاد الشام التاريخيَّة ، وسترى أنَّ هؤلاءِ الأبدال سيكونون على صلة كبيرة جدّاً بالدولة الإسلاميَّة الإماميَّة القويَّة في خراسان ، وأنَّهم على صلةٍ ولائيَّةٍ بـ « السيِّد الخراساني » الذي يقود دولة خراسان التي تُوطِّئ للمهديِّ سلطانه .

لا نملك زمناً محدَّداً لبداية حضورهم « الجبهوي » الأوَّلي ، لكنَّنا نملك محطَّاتٍ حول حضورهم في آخر الزمن ، وأنَّهم يقيناً يكونون كحركة وجبهة قبل ظهور المهدي عليه السلام ، كما أنَّهم على أعقاب « فتنة الأحزاب » ببلاد الشام يتعاظم حضورهم ، ويكبر على نحوٍ موصوف ، ويكون لهم قدرة ملحوظة في اختراق الأحداث ، بل في صناعتها ، في أوقاتٍ محدَّدة . وأنَّهم يكونون « أعداءً » بنظر الروم ، واليهود ، وأتباع هذه القوَى وحلفاءها . في حين يُجاهر « الأبدال » بولائهم للإسلام وآل محمَّد والخراساني الموطِّئ للمهديِّ سلطانه .

---

[1] ويضيف النص : فيلبث سبع سنين ثم يتوفَّى ، ويصلِّي عليه المسلمون . قال أبو داود : قال بعضهم عن هشام : تسع سنين . قال أبو داود : قال غير معاذ عن هشام : تسع سنين . قال : هذا سياق الحفاظ كالترمذي وابن ماجة القزويني وأبي داود .

[2] بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ١٥ ص ٨٨

استعمال كلمة الأبدال :

[قراءة في المتون التاريخيّة والإستعمالات الروائيَّة]

يبدو واضحاً أنَّ استعمال كلمة « الأبدال » جاء بصيغتين ، ومعنَيَين ، لكنَّها مُشَاعةٌ مُتَكثِّرةٌ – بلسان النصوص – في وصف طائفةٍ من النَّاس ، لهم قيمة عظيمة عند الله تعالى ، أعني بهم ، جماعة خاصَّة من المؤمنين ، بلغوا من التقَّى والإيمان درجةً امتازوا بها عن عامَّة الناس ، بل عن جماعة النَّاس العدول ..

أيضاً نجد في طائفةٍ خاصَّة من النصوص استعمال كلمة « الأبدال » بمعنى ومفاد آخر ، أي في مرادٍ خاص ، للإشارة إلى بدل النبيِّ صلى الله عليه وآله ، أي ورَثَتَهُ المنصوبين من قبل الله تعالى ، وهي تعني بذلك « الإمام المعصوم » ، وهذا استعمالٌ خاصٌّ جداً ، ورد في طائفةٍ ضيِّقة ، ليشير إلى خطِّ « النبوَّة والإمامة » ، وصلة الإثنين معاً ، والنَّصب الإلهي للمقامين . فقد ورد في خصوص بعض معاني « الأبدال » أنّهم هم الأئمة عليهم السلام . وقال بعضهم : « يستفادُ من بعض الروايات أنَّ الأبدال هم الأوصياءُ ، جعلهم اللهُ في الأرض بدلَ الأنبياء » : [الدعاء على الأبدال في عمل أم داود][1] إشارةً منه إلى الصيغة الخاصَّة في بيان « المراد الخاص » من الأبدال ، ببيانٍ مُحَدَّد لمعنى وترابط خطِّ النبوَّة والإمامة .

---

[1] مستدرك سفينة البحار – الشيخ علي النمازي ج ١ ص ٣٠٧

وهنا لا بدَّ من التذكير بأنَّ النصوصَ متواترةٌ عند السنَّة والشيعة على أنَّ النبيَّ ﷺ صرَّح بأنَّ ورثَتَهُ وأوصياءَهُ بنصِّ السماء « إثنا عشر إماماً من قريش » وأنَّه قال : أوصيكم بأهل بيتي ، - ردَّدها ثلاثاً - فضلاً عن حديث الدار والغدير والثقلين والكساء والتطهير والحوض وغير ذلك . وقد تواترت النصوص في أنَّهم أهلُ بيتِهِ والثقل المقرون بالقرآن ، بدءاً من علي بن أبي طالب وصولاً إلى المهديِّ عليهم السلام .

وبالتالي :

هذا النقاش (أي الأخير) لوضوحه ، فهو خارجٌ عن موضوعنا ، خاصَّةً أنَّ النصوص الواردة في موضوع « الأبدال » الذين نتحدَّث عنهم ، جاء استعمالها بكثرةٍ في جماعةٍ خاصَّة من الناس ، هم أقلُّ من مقام الإمامة ، لكنَّهم على دين الله ودين رسولِهِ وأهل بيتِهِ عليهم السلام ، ولهم دورٌ ووظيفة هامَّة ، زمن الإمامة الأخيرة وعصر الغيبة . وقد أشارت إليها النصوص بوضوح ، وبيَّنت صفة تلك الجماعة ، وتحدَّثت عن جبهتهم وحركتهم ، وهذا ما سنراه فيما بعد إنْ شاء اللهُ تعالى ..

ثمَّ هناك طائفةٍ من الأخبار تشيرُ إلى خطٍّ مائز ، يُفرِّق ، بين :

- القُطب ،
- والأوتاد ،
- والأبدال ،
- والعصائب ،

- والصُلاَّح .. [على أنَّ الروايات المعتبرة والقيِّمَة ، واردةٌ في « الأبدال والعصائب والنجباء » ، هذا فضلاً عن الإمامة التي وردت بحقِّها نصوص متواترة ومُدهشة ..] .

وبديهيٌّ جداً أنَّ « أهل الإسلام » بعلمائهم ومُحَدِّثيهم ، اتَّفَقُوا على أنَّه « لولا الحجَّة ، لساخت الأرض بأهلها »[1] ، وأنَّ « الأئمَّة إثنا عشر » ، وأنَّ « القرآنَ وعترةَ أهلِ بيتِ النبيِّ المطهَّرين عليهم السلام لا يفترقانِ حتى يردا الحوضَ على النبيِّ[2] صلى الله عليه وآله » ، وأنَّ كلَّ زمانٍ سيكونُ فيهِ حجَّةٌ مِن أهلِ بيتِ النبيِّ ، دون أن يزيد عددهم مِن أوَّلهم إلى آخرهم عن « إثني عشر إماماً » . ما يعني أنَّ الدهر سيظلُّ فيهِ إمامٌ مِن أهلِ البيتِ عليهم السلام حتى آخر لحظة مِن زمن البشر على الأرض دون أن يزيد العددُ الكاملُ لهم عليهم السلام عن إثني عشر إماماً وذلك بنصِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله المتَّفق عليه بين السنّة والشيعة ، حتى أنَّ إبن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ، قال : إنّ الإمام علي ورثه الحسنُ وورثَ علمَهُ . وعدَّد الإئمَّة الإثني عشر ، تماماً كما هي مذكورة عند الشيعة ، مؤكِّداً أنَّ الحسنَ ورثَ علمَ الإمامِ علي ، والحسين ورثَ علمَ الحسن وعلمَ أبيه ، ثم زين العابدين ورثَ علم الحسين ، ثمَّ الباقر ، ثمَّ الصادق ، وصولاً إلى باقي الأئمَّة عليهم السلام . أيضاً سبط بن الجوزي في كتابه « تذكرة الخواص » ، ذكر الأئمَّة الإثني عشر حسب الترتيب المذكور عند الشيعة ، وبِطُرُق أهلِ

---

[1] طائفة من المتون الروائيّة وردت بهذا المعنى في دواوين الحديث .

[2] هذه النصوص صحيحة ومتواترة عند السنّة والشيعة دون خلاف .

السنّة . أيضاً إبن الصباغ المالكي في « الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة » ذكر الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام بالترتيب ، وقال : « هؤلاء الإثني عشر هم الذين ذكرهم النبيُّ في غدير خم » ، إلى الكثير الكثير من العلماء الكبار من أهل السنَّة الذين ربطوا بين حديث « الأئمّة إثنا عشر » ، وحديث الكساء ، وغدير خم ، والثّقلين . وكلّها نصوصٌ صحيحةٌ جداً ، بل متواترة عند أهل السنّة والشيعة . واليوم الطريقة الرفاعيّة ، وهي سنيّة ، تقول نحن أهل السنَّة ، ومع ذلك يقولون بإمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ، ويقولون : هؤلاء هم الذين ذكرهم النبيُّ في حديث جابر بن سمرة في صحيح مسلم . بل إنَّ محبّ الدِّين الخطيب قال - في حاشيته على « العواصم من القواصم » - : « أنا لا أقبلُ حديث « الخلافة بعدي ثلاثون عاماً » ، لأنّه يخالف حديثاً أجمع عليه المسلمون ، وهو حديث الأئمّة إثنا عشر »[1] .. وهذا يعني ببساطة ، أنّ « القُطب » الوارد في بعض هذه المتون التي أشرتُ إليها سابقاً ، هو « الإمام » الذي هو العنوان الأبرز في « هرم » هذا التقسيم بعد النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقد وردت « طائفة » من الروايات ، تتحدَّث عن مثل هذا التقسيم ، من القطب والأوتاد والأبدال والنجباء والصُلاَّح . قال « الشيخ الكفعمي » في هامش « جنَّته » عند ذكر دعاء « أم داود » :

[قيل : إنَّ الأرض لا تخلو من « القطب » و« أربعة أوتاد » ، و« أربعين أبدالاً » ، و« سبعين نجيباً » ، و« ثلاثمائة وستين صالحاً » .

[1] للوقوف على هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب : الزلزال ، إنتصار الحقّ ، هشام آل قطيط ، ص ١٧٦ – ١٨١

فالقطب هو المهديُّ عليه السلام ، ولا يكون الأوتادُ أقلَّ من أربعة ، لأنَّ الدنيا كالخيمة ، والمهديُّ كالعمود ، وتلك الأربعة أطنابُها ، وقد يكون الأوتاد أكثر من أربعة ، والأبدال أكثر من أربعين ، والنجباءُ أكثر من سبعين ، والصلحاء أكثر من ثلاث مائة وستين . والظاهر أنَّ الخضر وإلياس من الأوتاد ، فهما ملاصقان لدائرة القُطب . وأما صفة الأوتاد ، فهم قومٌ لا يغفلون عن ربِّهم طرفةَ عين ، ولا يجمَعُون من الدنيا إلا البلاغ ، ولا تصدر منهم هفواتُ الشرِّ ، ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان ، بل من فعل القبيح . ويشترط ذلك في القطب . وأما « الأبدال » فدُون هؤلاء في المراقبة وقد تصدرُ منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكُّر ، ولا يتعمَّدُون ذنباً . وأمَّا النّجباء فهم دون الأبدال . وأما الصُّلَحَاء ، فهم المُتَّقُون المُوفُون بالعدالة ، وقد يصدر منهم الذنب ، فيتداركونه بالاستغفار والنَّدم ، قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ اتَّقَواْ ، إذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ مِّنَ الشَّيْطَان تَذكَّرُواْ ، فَإذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١/٧﴾ جعَلَنَا اللهُ من قسم الأخير ، لأنَّا لسنا من الأقسام الأُوَّل ، لكن نديْنُ اللهَ بحُبِّهم وولايتهم . ومَنْ أحبَّ قوماً حُشرَ معهم . وقيل : إذا نقص أحدٌ من « الأوتاد الأربعة » وضع بدلَهُ من الأربعين ، وإذا نقص أحدٌ من الأربعين وُضِعَ بدله من السبعين ، وإذا نقص أحدٌ من السبعين ، وُضِعَ بدله من الثلاثمائة وستِّين ، وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستين ، وضع بدله من سائر الناس][1] .

[1] بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٣٥ ص ٣٠١

إذاً ، لهذا « الهرم » الوصفي الخاص ، وظيفةٌ ورمزيَّةٌ ذات قيمة مخصوصة . ربَّما لا نستطيع قراءة أو فهم وظيفتها على وجهها التام ، لكنَّها قطعاً ، من الأمور الموقعيَّة التي تمَّ تظهيرها لنا على هذا النحو المقتضب من البيان . وقد ناقش بعضهم في صافي الناتج « الإثباتي » ليؤكِّد تواتر أمر الإمامة في الإسلام بالنصِّ عن النبيِّ ﷺ ودليل القرآن مشيراً أنَّ موضوع « الأئمَّة إثنا عشر » وغيره ، أمرٌ ثابت بالتواتر ، ولا جدالَ فيه بين علماء المسلمين جميعاً . وكذا موضوع الأبدال ، فإنَّه ثابتٌ بالدليل الروائي ، بل بعضُهم قال بـ « التواتر المعنوي » ، وإنْ كان فارق الطبقة الإثباتيَّة والوصفيَّة فيه بالقياس مع أمرِ الإمامة المتواتر جداً ، كبير ، لكنَّه أيضاً ثابت بقيمة الدليل الكامل . ما يعني أنَّ صفته الثبوتيَّة (بموضوع الأبدال) عالية ولازمة بحقِّنا . وكذا تصدَّرت النصوص موضوع العصائب والنجباء بدقَّة .. في حين يبقى النقاش حول موضوع التقسيم المنقول حول الصُلاَّح وشبه ذلك .. لكنَّه مروي أيضاً .

ولأنَّ موضوع بحثنا الأوَّلي يدور حول « الأبدال » ، فإنَّه من اللافت جداً أنْ نشير إلى أنَّ وصف الأبدال له صيغة تاريخيَّة ، وظهور كبير – اعتماداً على الثابت من الرواية – حتى أنَّنا نجد كبار الرواة والمؤلِّفين ، يُحاولون أنْ يصنِّفُوا هذا أو ذاك من الأبدال ، تأكيداً منهم للنصوص الشائعة والمرويَّة عن لسان النبيِّ ﷺ ، بخصوص « الأبدال »[1] . وهذا يُؤكِّد

[1] ففي التصنيف مثلاً ، قيل : « حجر بن عدي الكندي : من أصحاب أمير المؤمنين والحسن ﷺ ، ومن الأبدال ، عدَّةُ « الفضل بن شاذان » من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم . إمارته على كندة وحضرموت ومهره » .

« الإرتكاز العميق » والمؤثّر الكبير في ذهن الرواة والمحدّثين والمصنّفين بخصوص موضوع الأبدال ، بل تعَامَل قسمٌ منهم على أنَّ حضور الأبدال ، له طولٌ زمنيٌّ كبير يظلُّ ممتدّاً حتى ظهور القائم المهدي عليه السلام ، لذا بعضهم كان يلجأ إلى تطبيقات وصفيَّة على قلَّة من الخواص بسبب خصوصيَّاتهم ، أو محاولة « تطبيق » صفات الأبدال وتقريبها على بعض الأشخاص ، مثلاً بخصوص « كادح بن جعفر البجلي » قيل : [كان من « الأبدال » ، روى بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً في فضائل كريمة عظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام . وهو بظاهره يدلُّ على حسنه وكماله وصحَّة القول بأنَّه من الأبدال][1] . ما يعني أنَّ صفة الأبدال وشياعها عن لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، استوطنت ذهنَ المسلمين بل العلماء ، منذ اليوم الأوَّل لإعلان خبرها وصفتها عن لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .. وعلى هذا اتّفاقُ كلمة المسلمين . وأنَّهم - أي الأبدال - موجودون ، أحياء ، كلَّما ماتَ واحدٌ منهم ، أبدَلَ اللهُ مكانَهُ واحداً بصفته ، يحفظُ هذا العدد . وأنَّ صفة هؤلاء أنَّهم غير معروفين في النَّاس بهذه الصفة . وقد أقرَّ علماء المسلمين بحقيقة هذا الأمر .

وقال بعضهم : « الأبدال موجودون ولا يُشَاهدون » . وقال ([ابن] ميثم في شرحه للنهج : « نُقِلَ أنَّهُم سبعونَ رجلاً ، منهم أربعون بالشام[2] ،

(وكذا ورد بحقِّ غيرِه ، الذين هم من أعاظم الأصحاب) : [مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٢ ص ٢٢٤] .

[1] مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٩ ص ٧٣

[2] الصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي ج ٢ ص ٢٤٣ .

وثلاثون في سائر البلاد » . وفي الحديث عن علي ﷺ : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق ، يجتمعون فيكون بينهم حرب)[1] . [أي يُقاتلون عدوّاً لهم ، ويكون ذلك في آخر الزمان] .

وتقرأ في بعض المتون أنَّ ذِكْرَ « الأبدال » كان له شياعٌ عظيم ، إلى درجة أنَّه دعا معاوية بن أبي سفيان أن يضع حديثاً كاذباً عن النبيِّ ﷺ ليؤكِّد حقَّهُ في السطو على الخلافة ، وقد ضمَّه إلى موضوع الأبدال لِمَا لحقيقةِ الأبدال مِن صيتٍ عظيمٍ موثوقٍ آنذاك .

فقد ذَكَرَ للنَّاسِ أنَّه اختار أن يسكن منطقة « الأبدال » أي في أرض الشام . ومنطقةُ الشام تاريخيَّاً تشمل سوريا ، ولبنان ، والأردن وقسماً مِن فلسطين أو فلسطين كلّها . فقدى روى « الواقدي » أنَّ معاوية لما عادَ مِن العراق إلى الشام ، خطب فقال : أيها النَّاس إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : إنَّك ستَلِي الخلافة مِن بعدي ، فاختَرْ الأرضَ المقدَّسَة ، فإنَّ فيها الأبدال . وقد اخترتُكُم ، فالعنوا أبا تراب (..!)[2] ، فلعنوه . قال نصر : كان عليٌّ ﷺ بعد الحكومةِ ، إذا صلَّى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلَّم ، قال : اللهم

---

[1] ن . م .

[2] معلوم لدى علماء المسلمين ، أنَّ معاوية كان قد جيَّرَ ما أمكنه للكذب في الحديث عن النبيِّ ﷺ لتمكين سلطانه ، وقد افتُضِح أمرهُ ، فلم يجد معه إلا السيف لتثبيت حكمه . حتى أنَّ الرجل كان يدخل على معاوية فيقول له : كيف ستقف بين يدي رسول الله ﷺ يوم القيامة ، وقد أذعتَ في الناس لعن علي بن ابي طالب وهو أخُ رسول الله ﷺ ووصيُّه ووزيرهُ ، مَن بايعناهُ بأمرِ الله ورسولِه يوم غدير خم .! فلم يستطع معاوية جواباً سوى اللجوء إلى التهديد والوعيد .

العن معاوية ، وعمرواً ، وأبا موسى وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد ، والضحَّاك بن قيس ، والوليد بن عقبة »[1] ..

أهميَّة هذه « الشهادة التاريخيَّة » أنَّها تُؤكِّد « الإرتكاز الكبير » والشياع العظيم ، لصفة الأبدال ، حتى أنَّ معاوية بن أبي سفيان ، الخارج على إمام زمانه ، حَاوَلَ بطريقة وأخرى أنْ ينسُبَ نفسه لهم أو إلى أرضهم ، طمعاً في تثبيت شرعيَّة دولتِه ، اعتماداً على المُعتَبَر من شياع أمر الأبدال[2] ..

---

[1] مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٩ ص ٢٦٦

[2] وفي رواية عبد الوهاب بن قيس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ، مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » (قال) : رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الواحد ، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة قبل ، وأخرج أحمد من طريق صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة .. (الحديث) ، وفيه : « فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق .. » (الحديث) . قال السيوطي في النكت : خبر الأبدال صحيح ، فضلاً عمَّا دون ذلك ، وإن شئت قلت : متواتر ، وقد أفردتُه بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك ، والحاصل أنه ورد من حديث عمر أخرجه ابن عساكر من طريقين ، وعلي أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم من طرق أكثر من عشرة بعضها على شرط الصحيح وأنس وله ست طرق منها طريق في معجم الطبراني الأوسط حسَّنَهُ الهيثمي في مجمع الزوائد وعبادة ابن الصامت أخرجه أحمد بسند صحيح ، وابن عباس أخرجه أحمد في الزهد بسند صحيح ، وابن عمر وله ثلاث طرق في المعجم الكبير للطبراني وكرامات يحيى الأولياء للخلال ولأبي نعيم ، وابن مسعود وله طريقان في المعجم الكبير والحلية ، وعوف بن مالك أخرجه الطبراني بسند حسن ، ومعاذ بن جبل أخرجه الديلمي ، وأبي سعيد الخدري أخرجه البيهقي في الشعب ، وأبي هريرة ، وله طريق أخرى غير التي أوردها ابن الجوزي ، أخرجها الخلال في كرامات الأولياء ، وأم سلمة أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم والبيهقي وغيرهم ، ومن مرسل الحسن أخرجه ابن أبي الدنيا في السخاء والبيهقي في الشعب ، ومن مرسل عطاء أخرجه أبو داود في مراسيله ، ومن مرسل بكر بن خنيس أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء ، ومن مرسل شهر بن حوشب أخرجه ابن جرير في تفسيره . وأما الآثار عن الحسن البصري وقتادة وخالد بن معدان وأبي الزاهرية وابن شوذب وعطاء وغيرهم

وعليه : أمرٌ « الأبدال » إتفاقيٌّ بين علماء المسلمين ، من سنَّة وشيعة ، إلى درجة نجدُ فيها بعضَ العلماء ، قاموا بعمليَّة تطبيقات ، على أوصافٍ محدَّدة بغية بيان بعض المصاديق [1] .

من التابعين فمن بعدهم فكثيرة جدا ومثل ذلك بالغ « حد التواتر المعنوي » لا محالة ، بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة . انتهى .

[1] ففي وصف غيرهم قال : (كنا نقول إنه) أي عنبسة بن عبد الواحد (من الأبدال) . [إشارة عميقة إلى الشياع والإرتكاز في الوصف والتصنيف ومحاولة التطبيق في دواوين أهل الرواية والحديث] . لذلك جاء في الجامع الصغير للإمام السيوطي برواية الطبراني في معجمه الكبير عن « عبادة بن الصامت » - يروي عن النبيِّ ﷺ - : « الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تمرطون بعد ، وبهم تنصرون » . قال المناوي في شرح الجامع الصغير بإسناد : صحيح : والأبدال جمع بَدَل - بفتحتين - ووجه تسميتهم بالأبدال ، أنه : كلَّما مات رجلٌ منهم أبدَلَ اللهُ مكانه رجلاً . [كما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بإسناد صحيح] ، كما قال العزيزي في شرح « الجامع الصغير » للسيوطي ، وكذا المناوي في شرحه بلفظ « الأبدال » في هذه الأمة : « ثلاثون رجلاً ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلَّما مات رجلٌ أبدل اللهُ مكانه رجلاً » (قبل أن نسمع أنَّ الأبدال من الموالي) في الجامع الصغير برواية الحاكم في كتاب الكنى والألقاب ، عن عطاء مرسلاً الأبدال من الموالي . قال المناوي تمامه . : ولا يبغض الموالي إلا منافق ، ومن علامتهم أيضاً أنهم لا يولد لهم ، وأنهم لا يلعنون شيئا . قال المناوي وهو حديث منكر . انتهى . والمعنى أنا كنا نعد عنبسة بن الواحد القرشي من الأبدال ، لأنه كان من العابدين والذاكرين وعباد الله الصالحين ، قبل أن نسمع في ذلك الباب شيئاً ، فلما سمعنا أن الأبدال يكون من الموالي ، أي من السادات الأشراف ، تحقق لي أنه من الأبدال ، لأنه عابد أموي قرشي ، فأي شيئ أعظم منه لسيادته وشرافته (..!) يقول : وفي معناه تأويل آخر يقول محمد بن عيسى إنما نعده من الأبدال لزهده وعبادته لكن لما سمعنا أن الأبدال يكون من الموالي أي بمعنى العبد رجعنا عن ذلك القول ، وعلمنا أن شرط الأبدال أن يكون من الموالي وعنبسة ليس من الموالي ، فهو قرشي من أولاد سعيد بن العاص الأموي . قال : هذا تأويل ضعيف ، وقد ورد في الأبدال غير ما ذكر ، أخرج الطبراني عن عوف بن مالك والأبدال في أهل الشام : وبهم ينصرون وبهم يرزقون . قال المناوي إسناده حسن وأخرج أحمد في مسنده عن علي : « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يُسقى بهم الغيث ويُنتَصَرُ بهم على الأعداء ، ويُصرَفُ عن أهل الشام بهم العذاب » . قال المناوي إسناده حسن : [عون المعبود - العظيم آبادي ج ٨ ص ١٥١] . أقول : في الحقيقة ، النصوص تؤكِّد أنَّ « الأبدال » هم قومٌ خاصِّين ، على ولاية آل محمَّد ، موطنهم بعض أرض الشام ، وفي بعضها الواضح جداً ، برّ الشام ، وفي بعض المتون ناحية أعمال

جرى ذلك منهم ، بسبب تعاظم أمر « الأبدال » بعد ثبوتِ النصِّ عن النبيِّ ﷺ فيهم .

على أنَّ مَن طبَّقُوا ذلك على طبقات محدَّدة في حقبات الزمان ، كانوا يُطبِّقُونَها على مَن يرون فيهم ميزةً خاصَّةً في التُّقَى والعلم والتضحية والعبادة وشبه ذلك ، وهذا اجتهادٌ تطبيقيٌّ منهم ، في حين « أصل وجود الأبدال » ، تدلُّ عليهِ النصوص المعتبرة المتعدِّدَة الطرق .

ومن بعض « مواصفات الأبدال » - التي اعتمدها البعض في التطبيقات « الإجتهاديَّة » - قول رسول الله ﷺ :

- [ثلاث مَن كُنَّ فيه ، فهو من « الأبدال » : الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله عزوجل][1] .

- [إنَّ أبدال أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بالأعمال ، ولكن إنما دخلوها برحمة الله ، وسخاوة الأنفس ، وسلامة الصدر ، ورحمة لجميع المسلمين][2] .

شقيف أرنون ، وقرى وربوع في سواحل البحر وأوطئة الجبال ، أي في أطراف الشام ، تعني بذلك أبدال الشام ، الذين تُنسب لهم الأدوار التاريخيّة المهمّة جداً زمن الغيبة والظهور لمولانا المهدي عليه السلام ، وهذا أمر واضح في النصوص . أمّا الموالي ، فيُراد منهم ، الخراسانيين . والنصوص المعتبرة تُؤكّد أنّ الأبدال يكونون في ناحية الشام ، وأنّ هؤلاءِ لهم صلةٌ وافيةٌ وحلف قائم مع الخراساني الذي يوطِّئ للمهديِّ سلطانه . إذاً تنبَّه للدقَّة ، والبرهان الساطع ..

[1] ميزان الحكمة : محمدي الريشهري ج ١ ص ٢٤٤

[2] ن . م .

والمراد هنا : « التنزيل الحُكمي » لِمَن يتَّصف بهذه الصفات . وذلك لأنَّ النصوص العديدة تُؤكِّد حصراً خاصَّاً للعدد . أو أنَّ النصَّ في مقام وصف « رتبة الأبدال الخاصَّة » التي يتَّصف بها هذا القدر المحدَّد من الناس ، فتكون من باب الكاشفيَّة [1] ..

أقول : لا بدَّ من « التمييز » بين النصِّ المروي عن النبيِّ ﷺ ، وبين « التطبيقات الإجتهاديَّة » . وقصدي من إيراد هذه التطبيقات الإشارة إلى « الرسوخ العميق » في التراث الإسلامي حول موضوع « الأبدال » الذين تمَّ الكشفُ عن وجودهم في الروايات المنقولة عن النبيِّ ﷺ .

[1] وفي الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ذكر طائفة من النصوص منها : ٣٠٣٢ « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » ٣٠٣٣ - « الأبدال في أمتي ثلاثون : بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون » ٣٠٣٤ - « الأبدال في أهل الشام ، وبهم ينصرون ، وبهم يرزقون » ٣٠٣٥ - « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا : يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » - ٣٠٣٦ - « الأبدال أربعون رجلا .. كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا .. » [الجامع الصغير : جلال الدين السيوطي ج ١ ص ٤٧٠] .

الحضور اللافت للأبدال والعصائب والنجباء
زمن الظهور المبارك للمهدي عليه السلام

يظهر بوضوحٍ تام من « الطوائفِ المرويَّة » أنَّ « الأبدال والعصائب » وأيضاً النجباء - وفي أوقاتٍ محدَّدة - يكون لهم دورٌ في « تجييش الجيوش » ، وتنظيم معسكر المهدي عليه السلام ، وأنَّهم يشاركون في الحروب الطاحنة ، ويكون لهم صفة خاصَّة ، وباع في بناء وقيادة الصفِّ في جيش المهدي عليه السلام .

ففي الرواية التي نُقلَت في « مجموعات الحديث » عند السنَّة والشيعة قالت أم سلمة - زوجة الرسول - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « .. يُبايَعُ لرجلٍ (أي للمهدي عليه السلام) بين الركن والمقام ، كعدَّة أهل بدر ، فتأتيه « عصائب العراق وأبدال الشام » ، فيغزوهم جيشٌ من أهل الشام (أي بعثُ السفياني) حتى إذا كانوا بالبيداء يُخسَفُ بهم ، ثم يغزوهم رجلٌ من قريش ، أخواله كلب فيلتقون فيهزمهم الله ، فكان يقال : الخائب من خاب (من) غنيمة كلب][1] .. أي أنَّ طلائع « الأبدال والعصائب » وأيضاً النجباء بدليلِ طائفةٍ أخرى من النصوص ، تكون موجودةً في تلك اللحظةِ الهائلةِ العَظَمَة ، ما يعني أنَّهم كانوا على اتصالٍ هام ، بالظهور الخاص للإمام

[1] أحمد : ج٦ ص٣١٦

المهدي عليه السلام الذي يدوم أشهراً (بحدود ١١ شهراً أو أقل)[1] ، ثمَّ يتمُّ بعدهُ « الإعلان العام » لأهل الدنيا كلِّها عن ظهور المهدي عجل الله فرجه .

ويكون بين تلك الفئة « الخاصَّة جداً » التي تُبايع المهديَّ عليه السلام - بين الركن والمقام - الأبدالُ والعصائب والنجباء فضلاً عن « القيادة الخراسانيَّة » التي تُشكّل عصب التوطئة لسلطانِ المهدي عليه السلام وتقود حروباً شرسةً ، وتقدِّم تضحياتٍ هائلة تحت ظلِّ الولاء لصاحب الزمان عليه السلام .

ومهما يكن مِن أمر ، فإنَّ ما وَرَدَ في هذا النصّ هو تأكيد للدور الضالع ، الذي يقومُ به الأبدال والعصائب ، بالإضافة إلى النجباء .

مع الإلتفات إلى أنَّ تخصيصهم بالإشارة مِن النبيِّ صلى الله عليه وآله ، دليلٌ على حضورهم الخاص والبارز في ذلك الزمان الهام[2] ..

[1] يتردّد خلالها الإمام المهدي عليه السلام بين المدينة ومكّة ..

[2] قال في عيون المعبود : - في باب المهدي - : (فيأتيه ناسٌ مِن أهل مكة) ، أي بعد ظهور أمره عليه السلام ، ومعرفة نور قدره (فيُخرِجُونَهُ) من بيته (وهو كارهٌ) إما بلية امارة وإما خشية الفتنة .. (بين الركن) أي الحجر الأسود (والمقام) مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام (ويُبعَثُ) أي يُرسَل إلى حربه وقتالِه مع أنه من أولاد سيد الأنام صلى الله عليه وآله وأقام في بلد الله الحرام (بعْثٌ) أي جيش (مِن الشام) وفي بعض النسخ من أهل الشام (يخسف بهم) أي بالجيش (بالبيداء) .. قال التوربشتي رحمه الله : هي أرض ملساء بين الحرمين ، وقال في المجمع : اسم موضع بين مكة والمدينة ، وهو أكثر ما يراد بها (فإذا رأى الناسُ ذلك) أي ما ذُكِرَ مِن خرق العادة ، وما جُعِلَ للمهديِّ عليه السلام من العلاوة (أتاهُ أبدال الشام) .. قال في النهاية : هم الأولياء والعباد ، الواحد بدل ، سُمُّوا بذلك ، لأنهم كلما مات منهم واحد بُدِّل بآخر . وقال السيوطي في « مرقاة الصعود » : لم يرد في الكتب الستَّة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند « أبي داود » ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ، وصحَّحَهُ . وورد فيهم (أي في الأبدال) أحاديث كثيرة خارج الستَّة ، جمعتُهَا في مؤلف . قلت - الكلام لصاحب عيون المعبود ، العظيم آبادي - : إنَّا نذكر ههنا بعض الأحاديث الواردة في شأن « الأبدال » تتميماً للفائدة ، فمنها ما

رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت مرفوعا : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » ، أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال العزيزي والمناوي في شرحه : بإسناد صحيح . ومنها ما رواه عبادة بن الصامت : « الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون » ، رواه الطبراني في الكبير ، أورده السيوطي في الكتاب المذكور ، وقال العزيزي والمناوي : بإسناد صحيح . ومنها ما رواه عوف بن مالك : « الأبدال في أهل الشام ، وبهم يُنصَرُون ، وبهم يُرزَقُون » ، أخرجه الطبراني في الكبير ، أورده السيوطي في الكتاب المذكور . قال العزيزي والمناوي : إسناده حسن . ومنا ما رواه علي رضي الله عنه : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب » ، أخرجه أحمد ، وقال العزيزي والمناوي : بإسناد حسن . قال المناوي : زاد في رواية الحكيم « لم يسبقوا الناس بكثرة صلاة ، ولا صوم ، ولا تسبيح ، ولكن بحسن الخلق ، وصدق الورع ، وحسن النية ، وسلامة الصدر ، أولئك حزب الله » ، وقال : « لا ينافي خبر الأربعين خبر الثلاثين ، لأن الجملة أربعون رجلاً ، فثلاثون على قلب إبراهيم ، وعشرة ليسوا كذلك » ، ومنها ما ذكر أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » ، بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « خيار أمتي في كل قرن خمس مائة ، والأبدال أربعون ، فلا الخمس مائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجلٌ أبدل اللهُ عزَّ وجلَّ من الخمس مائة مكانه ، وأدخل في الأربعين . وكأنهم قالوا : يا رسول الله ، دلَّنا على أعمالهم ؟ قال ﷺ : يعفون عمَّن ظلمهم ، ويحسنون إلى مَن أساء إليهم ، ويتواسون في ما اتاهم الله عز وجل » ، أورده القاري في المرقاة ، ولم يذكر تمام إسناده . واعلم أنَّ العلماء ذكروا في وجه تسمية « الأبدال » وجوهاً متعدِّدةً ، وما يفهم من هذه الأحاديث من وجه التسمية هو المعتمد . (وأمَّا تفسير) : (وعصائب أهل العراق) — فيعني : خيارهم من قولهم « عصبة القوم خيارهم » ، قاله القاري ، وقال في النهاية : « جمع عصابة ، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ، ولا واحد لها من لفظها ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : « الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق » أراد أن التجمع للحروب يكون بالعراق ، وقيل : أراد جماعة من الزهاد وسماهم بالعصائب ، لأنه قربهم بالأبدال والنجباء » .. والمعنى : أنَّ الأبدال والعصائب يأتون المهدي (ثم ينشأ) أي يظهر (رجلٌ من قريش) هذا هو الذي يخالف المهديَّ ، (أخواله) أي أخوال الرجل القرشي (كلب) فتكون أمَّة كلبية . قال التوربشتي رحمه الله : يريد أنَّ أم القرشي [الشامي] تكون كلبية ، فينازع .. المهديَّ في أمره ، ويستعين عليه بأخواله من بني كلب (فيبعث) أي ذلك الرجل القرشي الكلبي (إليهم) أي للمبايعين للمهدي (بعثاً) أي جيشاً (فيظهرون عليهم) ، أي فيغلب المبايعونَ على البعث الذي بعثه الرجل القرشي الكلبي (وذلك) أي البعث (بعث كلب) أي جيش كلب باعثه هوى نفس الكلبي (ويعمل) أي المهديُّ (في الناس بسنَّة نبيهم) فيصير جميع الناس عاملين بالحديث ومتبعيه (ويُلقي) : من الإلقاء (الإسلامُ

أهميَّة جملة من الأحاديث بخصوص « الأبدال » - موضوع بحثنا - تكمن في الأمور التالية :

- أمرُ الأبدال ، من الضرورات « الإتفاقيَّة » الواردة في النصِّ عن النبيِّ ﷺ ، حتى أنَّ بعضهم وصف حقيقتهم الروائيَّة الثبوتيَّة بالتواتر المعنوي .

- يُستفاد من النصوص أنَّ للأبدال حضوراً زمنيَّاً أوسع من لحظة بيعتهم للمهدي عليه السلام ، وأنَّ الخطّ الزمني لحضورهم ، يبدو واسعاً ، أوسع من آخر الزمان ، وأنَّه كلَّما مات واحدٌ منهم أبدَلَ اللهُ غيرهُ مكانه حتى يتمَّ عددهم على الأربعين بنفس الوصف .

- يبدو من جملة مرويَّة أنَّ للأبدال موقعاً في « الهرم الخاص » الذي يَتَشَكَّل في الذورة من النبوَّة ، ثمَّ الإمامة ، ثمَّ السلسلة التي أشرنا إليها ، والتي منها الأبدال والعصائب والنجباء والصلاَّح .. نعم عمدة « النَّصب الإلهي » للهرم الضروري في

بجرانه) .. وهو مقدم العنق ، قال في النهاية : الجران باطن العنق ، ومنه حديث عائشة : « حتى ضرب الحقُّ بجرانه » ، أي قرَّ قراره واستقام ، كما أنَّ البعير إذا برك واستراحَ مدَّ عنقَهُ على الأرض . [عون المعبود - العظيم آبادي ج ١١ ص ٢٥٣] .

الإستخلاف الخاص وإلقاء الحُجج مُكَوَّن من النبوَّة والإمامة ، إذاً ، وظيفة الأبدال في هذا الهرم ، دائمة ، وخاصَّة ، في سعة الزمن ، ولها آثار لا نعرفها . لأنَّ النصوص لم تكشف عنها ، سوى أنَّها دلَّت على أنَّ لها ضرورةً ووظيفة ، وفي بعضها يُستفاد بوضوحٍ شديدٍ أنَّ لها بُعداً سببيًّاً ، على طريقة الوسيلة إلى الله ..

- تكمن الأهميَّة الخاصَّة « المُعلَنَة » للأبدال ، في أنَّ النصوص تعطيهم ، دوراً لافتاً ، هو على أهميَّةٍ بالغةٍ في آخر الزمن ، فَهُم من النُّخبَة الخاصَّة في هرم القيادة المهدويَّة بالإضافة إلى غيرهم من صفِّ القيادة المميَّزة ، ولهم دورٌ في الثورات الإماميَّة وخطِّ المواجهة ضدَّ الطواغيت ، وأنّهم يكونون موالين لآل محمَّد عليهم السلام بجهرٍ وثباتٍ وتضحياتٍ وتفانٍ ، وأنَّهم من القلَّة التي تكون على قربٍ خاصٍّ من لحظة الإعلان عن « الظهور العام » للإمام المهدي[1] عجل الله فرجه ..

[1] ففي سند آخر عن « أم سلمة » روت عن النبي صلى الله عليه وآله ما ورد في النص السابق إلى أن قال : « .. من المدينة هاربٌ إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كارهٌ فيبايعونه . فيبعث إليهم جيش من الشام فيخسف بهم بالبيداء ، فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه . ثم ينشأ رجلٌ من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليه المكيُّ بعثاً ، فيظهرون عليهم ، ذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب . فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم صلى الله عليه وآله .. ابن ماجة : على ما في عقد الدرر ، وبيان الشافعي .. وابن داود : ج ٤ ص ١٠٧ ح ٤٢٨٦ كما في أحمد بتفاوت يسير ، بسند آخر عن أم سلمة ، وفيه .

تعاظم أمر الأبدال

يظهر بوضوحٍ من نصوصٍ مختلفة ، أنَّ « الأبدال » يكون لهم موقع مميَّز ولافت ، وقد نقل ذكرهم علماءُ أهلِ الإسلام ، بل يبدو أنَّ حضورهم الخاص مع المهديِّ عليه السلام يكون على أثرِ « موتِ خليفة » (الحاكم العراقي) تقع بعد موتِهِ فتنةٌ عظيمة ، وتدور الأحداث ، وتُسارِع القوَى إلى « بناء قوّتِها » على نحوٍ خاص في منطقة الشرق الأوسط وغيرها .

كما تكون « فتنةٌ في العراق » تتَّسع للشام ، ومصر ، وغيرها مِن هذه « المناطق الأوسطيَّة » ، كما يكون للروم ، وغيرها ، يدٌ في غزوٍ وقتلٍ وإبادةٍ وأطماع ، قبل قرقيسيا ، وبعدها ..

المهمُّ أنَّ الأبدال ، يكون نفوذهم مبسوطاً في أرضهم التي يقودون فيها ثورةً فينجحون ، ويملكون مِن العدَّة والعتاد والنفوذ ، ما يصمدون به في وجهِ « قوَى » تكون قبل السفياني ، ثم في وجه السفياني ، ثمَّ يُشكّلون قوَّةً لافتةً ، تُقاتل بين يدي المهدي عليه السلام بعد ظهوره الشريف .. ففي الرواية عن « صالح أبي الخليل » بسنده عن أم سلمة زوج النبي ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [يكون اختلافٌ عند « موت خليفة » فيخرج رجلٌ مِن « أهل المدينة »

« .. فيخسف . بين مكة والمدينة . .. ». وفي : صـ ١٠٨ حـ ٤٢٨٧ قال « حدثنا هارون بن عبد الله .. بهذا الحديث ..[معجم أحاديث الامام المهدي عليه السلام – الشيخ علي الكوراني العاملي ج ١ ص ٤٤٢]

هارباً إلى مكة (يعني المهدي عليه السلام) ..][1] .. إذاً هناك « حدث رئيسي » هو موت خليفة (الحاكم العراقي) ، وعلى الأثر يطرأ خلاف عنيف ، يؤدِّي فيما يؤدِّي إليه ، إلى أن اشتعال المعارك على « السلطة » .

ويظهر من النصوص أنَّ « الإضطراب الأمني » يُشكِّل أزمةً حقيقيَّةً ، ليس في العراق وحسب ، بل أيضاً في الحجاز ، وتكون المنطقة آنذاك تحت وطأة « تدخُّلات دوليَّة » مختلفة الأهداف ، لكنَّ هدفاً رئيسيَّاً منها ، يقع على ثروةٍ جوفيَّةٍ بغاية الأهميَّة ، تنكشفُ عنها ناحية الفرات ، ما يُؤدِّي إلى « تجييش الجيوش » ، وخوض معركة عنيفة ، عبَّرت عنها النصوص بـ « الملحمة » لشدَّة القتل والقتال والجثث التي تسقط فيها .. يبقى أن نشير إلى أنَّ قسماً من النصوص واضح في أنَّ الخليفة الذي يموت هو « عبد الله العباسي » الذي يكون في العراق ، إلا أنَّ هذا لا يحسم الإشكال حول هشاشة النِّظَام الأمني في « الحجاز » ، الذي يبدو ضعيفاً ، بل يُشَمُّ من بعض المتون أنَّ خليفةً حجازيَّةً يموت أو تنهار سلطتُهُ ، وينقسم الناس ، ويقع على أثره أحداث حجازيَّة دامية ..

على الأقلّ ، المتون مُجمعَةٌ على أنَّ موت خليفةٍ مهمّ ، يتركُ وراءهَ تداعيات إقليميَّةٍ هائلة ، بدءاً من العراق ، وصولاً إلى الحجاز ، على أنَّ المنطقة « تتشظّى » بهذا الحدث الدراماتيكي ، في ظلِّ حلفٍ دولي – للروم يدٌ كبيرةٌ فيه – يعمل على تغيير خريطة القِوَى في هذه المنطقة ، وأنَّهُ من

[1] سنن أبي داود – ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣١١

آثارِ هذا النفوذ يستطيع السفياني أنْ يقود حملةً عسكريَّةً انقلابيَّة في الشام ، فيقاتل ، وينتصر على « حاكم دمشق » ، وعلى أكثر من رايةٍ عسكريَّة ، ويجلس على عرشها .

تؤكّد النصوص أنّه إذا سيطر السفياني على عرش دمشق ، بنى جيشاً ضخماً ، واحتلَّ الكُوَر الخمس إلا منطقة الأبدال ، وبعثَ بجيشٍ إلى مصر لقمع النجباء وغيرهم ، وجيشٍ ناحية فلسطين وبيت المقدس لقتال الخراسانيين ، ثمَّ يبعث بجيشٍ كبيرٍ نحو « قرقيسيا » طلباً للثروة ، ولداخل العراق طلباً لعرشها من جهة وللقضاء على العصائب الإماميين من جهة أخرى ، ثمَّ نحو منطقة « اصطخر الإيرانيَّة » التي يُهزم فيها هزيمةً هائلةً ، فيأتيه خبرُ ظهورِ المهديِّ عليه السلام وأنَّه في المدينة المنوَّرة (وهو الظهور الخاص الذي يبدو لأشهر) فيُشكِّل قوَّةً عسكريَّةً ضاربة ، تقصد المدينة ، فلا تترك فيها هاشميَّاً إلا قتلته ، بعد أن يكونَ المهديُّ عليه السلام وجملة من خواصه وقسم من الهاشميين قد خرجوا ناحية مكَّة ، فيما قسمٌ آخر من الهاشميين وشيعتهم يخرجون من المدينة لأنحاء أخرى ، خشيةً من فعل السفياني .

ومعنى هذا أنَّ خطَّ الظهور الخاص للمهدي عليه السلام والذي يدومُ شهوراً ، يخضع لضغطٍ وأهداف شديدة الدمويَّة من السفياني بهدف اغتياله ، لكنَّ السفياني الذي ينجح في المدينة بالقتل والطغيان ، يفشل في فتح مكَّة ،

حيث يأمر جيشهُ الموجود في المدينة بالتوجُّه ناحيةَ مكَّة لقتل المهدي عليه السلام فما إنْ يصل إلى الصحراء ، حتى تَنْخَسِف به الأرض ، فلا ينجو أحدٌ إلا مُنذِرٍ للسفياني ، ومبشِّرٍ للمهدي عليه السلام .

ومنذ تلك اللحظة ، تبدأ مرحلةٌ تصاعديَّة من لحظات الحدث التاريخي الأهم ، حيث يتمُّ « الإعلان العام » عن ظهور المهدي عليه السلام ،

وهنا يكون للأبدال والعصائب ، وأيضاً النجباء[1] ، موقع خاص ، ومهمَّة مميَّزَة ، بالإضافة إلى جملةٍ من « الخواص » الذين يُشكّلون « خصوص » أصحاب المهدي عليه السلام . فقد وَرَدَ عن النبي صلى الله عليه وآله : [.. ويُبعَثُ إليه بعثٌ من الشام فيخسف بهم بـ« البيداء » بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم ، وذلك « بعثُ كلب » ، والخيبةُ لمَن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال[2] ، ويعمل في الناس بسنَّة نبيهم صلى الله عليه وآله ، ويلقي الاسلامُ بجرانه في الارض[1] ..][2] .

[1] أستَعمِلُ كلمة « أيضاً » مع النجباء أحياناً ، لأنَّ النصَّ الذي أريد أن استشهد به يذكر الأبدال والعصائب ، فيما نصوص أخرى تذكر النجباء . إذاً إستعمالي لهذه الطريقة ، إستجابة لفنِّ البيان ليس أكثر .

[2] - سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣١٠ . قال في الهامش : « والشيعة الامامية الاثنا عشرية تقول : إنَّ إمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي غاب وسيظهر من غيبته في آخر الزمان .. والله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق هذا الامام من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم أو ممَّن هو أعلم به في آخر الزمان ، ويبعثه كما بعث الرسل والانبياء ، وكما خلق آدم من غير أب وأم أو مثال سابق ، وكما نفخ في

على أنَّ الأبدال في هذه « اللحظات التاريخيَّة » تكون جبهتُهم وجهاً لوجه ضدَّ السفياني ، وذلك من إحدى جهات دولته الشاميَّة التي تتَّسع لتحتلَّ « الكور الخمس » من بلاد الشام إلا مركز الأبدال ، كما تنفُذُ أوَّل الأمر ، وتشقُّ طريقها حتى بعض الحجاز والعراق ، وبعض فلسطين ..

وفي المتون أنَّ الأبدال يصمدون في وجه السفياني ، ويُضحُّون ، ويعصمهم الله تعالى . على أنَّهم يُعانون من ظروفٍ حرجة بعد أن تُشارك الروم ، والترك ، وبعض الجيوش العربيَّة (الراية المغربيَّة) ، ثمَّ جبهة السفياني في قتالٍ ملحميٍّ بوجه الخراسانيين الذين يُحرِّرون « بيتَ المقدس » . ومعلوم أنَّ الأبدال يشاركون الخراسانيين في تضحياتِهم وجبهتهم ..

في الحاصل العام :

للأبدال دورٌ تاريخيٌّ مهم جدَّاً زمن المهديِّ عليه السلام : غيبةً ، وظهوراً ، وأنَّهم قومٌ لهم شوكةٌ وصمود ، وثباتٌ على دين الله تعالى وولاية النبيِّ وأهل بيتِه عليهم السلام ، وأنَّهم يحافظون على قوَّتهم ومنعتِهم ، ويُقدِّمون تضحياتٍ

مريم عليها السلام من روحه وألقي إليها كلمته التي هي عيسى ابن مريم على رسول الله وعليه السلام » . [سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣١٠] .

[١] يلقي الاسلام بجرانه إلى الارض : أي يعود إلى سابق عزه وسلطانه . والجران مقدم العنق ، وأصله في البعير إذا برك ومدَّ عنقه على وجه الارض ، وانما يفعل ذلك إذا طال مقامه والمقصود انَّه لن تكون عندها فتن ولا ملاحم . والابدال : العباد والصالحين [لهم صفات على وجهٍ مخصوص] وعصائب اهل العراق المقصود خيارهم [سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣١٠] .

[٢] سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣١١

جليلة ، ويخوضون جبهات حرب مختلفة ، ويصمدون بثباتٍ وتفانٍ وصلابة حتى ظهور المهدي المنتظر عليه السلام ..

ومع ظهور المهدي يُفصَحُ عن صفتِهم الخاصَّة [أنّهم الأبدال] ، وعن دورهم العظيم . ومع المهدي عجل الله فرجه ينخرطون في « حرب الجبهات » حتى يتمَّ اللهُ أمرَ المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئت ظلماً وجوراً[1] .

أمَّا العصائب والنجباء ، فدورهم كبيرٌ أيضاً ، لكنَّهم يعانون من ظروف وخطوط الحرب والحلف الدولي ، وتشابك الجبهات ، وعدم حصانتهم الكبيرة في بلادهم ، بخلاف الأبدال الذين يبدو بشدَّة أنَّهم يكونون مسيطرين بقوَّةٍ عاليةٍ على منطقتِهم ودولتهم .

---

[1] وفي عيون المعبود : يشرح موثِّقاً النصوص الواردة بصفة المهدي : (المهديُّ منِّي) أي مِن نسلي وذريتي (أجلى الجبهة) قال في النهاية : الجلا : .. انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس أو هو دون الصلع والنعت أجلى وجلواء سنة وجبهة جلواء عمرو واسعة [عون المعبود - العظيم آبادي ج ١١ ص ٢٥٢] .. واسع الجبهة . قال القاري : وهو الموافق للمقام . (أقنى الأنف) .. المراد أنه لم يكن أفطس [عون المعبود - العظيم آبادي ج ١١ ص ٢٥٢] .

تعاظم دور الأبدال والعصائب والنجباء بالقرب من الظهور

المهم جداً أنْ نلتفت إلى النصوص وهي تقرن « دور الأبدال والعصائب والنجباء » بدور المهدي المنتظر عليه السلام ، وبعض الأحداث التي تقع قبل ظهوره ، يعني أنّها تقرن دورهم ، وبعض قيادتهم لجملةٍ من الأحداث بزمن الغيبة والظهور الشريف ..

وهذا يعني أنَّ « دورهم التاريخي » المقصود في جملة من الروايات ، يكون بعد زوال دولة « بني العباس » الأولى .. لكن متى بعد زوالها ..؟ النصوص واضحة - خاصَّةً في الأبدال والعصائب - أنَّ لهم حضورهم الخاص جداً قبل الظهور ، وأنَّهُ يظلُّ مُتَّصلاً بزمن الظهور الشريف ، ويدوم مع الجبهات والصراع الذي يقودهُ إمام أهلِ الحقِّ (المهدي عليه السلام) في وجه الأباطرة والطغاة والمُفسدِين حتى يُتِمَّ اللهُ أمراً كان مفعولاً .

مع الإلتفات إلى « تعاظم » أمر جبهة الأبدال بعد « فتنة الأحزاب » التي تُصيب بلاد الشام .. والأهم التأكيد على أنَّ دور الأبدال والعصائب والنجباء المتَّصل بأمر المهدي عليه السلام ، يعني أنَّهم يكونون مِن جملة مَن يُؤثِّر بأحداث آخر الزمان ، فأحداثهم وأخبارهم مقرونة بآخر الزمان ، زمن الظهور .

قال الحافظ « عماد الدين » :

« الأحاديث دالَّةٌ على أنَّ المهديَّ عليه السلام
يكون بعد دولة بني العباس .. يكون مِن
أهل البيت عليهم السلام ، من ذريَّة فاطمة عليها السلام ..
كذا في مرقاة الصعود »[1] ..[2] ،

والنصوص – بدورها – دالَّةٌ على أنَّ الأحداث التاريخيَّة التي يشارك فيها الأبدال والعصائب والنجباء ، بل يصنعون بعضها ، تكون قبل الظهور ، وأثناء الظهور ، ثمَّ تكون لهم صفة الإشتراك المُمَيَّز بجيش المهديِّ عليه السلام الذي تتلألأ الأرض بنوره ..

وعن دور الأبدال وثبوت حقيقتِهم ..؟ جاء في « القول المسدَّد في مسند أحمد » :

[.. أما الآثار عن الحسن البصري ، وقتادة ، وخالد بن معدان وأبي الزاهرية ، وابن شوذب ، وعطاء ، وغيرهم مِن التابعين ، فمَن بعدهم ، فكثيرةٌ جداً ومثل ذلك بالغ حد « التواتر المعنوي » لا محالة ، بحيث يُقطَع بصحَّةِ « وجود الأبدال ضرورةً »][3] .

---

[1] وقال السندي في حاشية ابن ماجه : قال ابن كثير : [فأما الحديث الذي أخرجه الدارقطني في الأفراد عن عثمان بن عفان مرفوعاً : « المهدي مِن ولد العباس عمِّي » ، فإنه « حديث غريب » كما قاله الدارقطني ، تفرَّد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم ..

[2] عون المعبود – العظيم آبادي ج ١١ ص ٢٥١

[3] القول المسدد في مسند أحمد – أحمد بن علي بن حجر ص ٨٥

وقد أورد صاحب « عيون المعبود »[1] طائفةً من النصوص التي تتحدَّث عن الأبدال ، كقيمة ثابتة ، ونصوص مُدَوَّنة عند أهل الإسلام ، أُورِدُ منها :

- ما رواه « أحمد في مسنده » عن « عبادة بن الصامت » مرفوعاً : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلَّمَا مات رجل أبدل اللهُ مكانَهُ رجلاً »[2] . [قال : بإسناد صحيح] .

- وما رواه « عبادة بن الصامت » : « الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تُمطَرُون ، وبهم تُنصَرُون »[3] . [قال : بإسناد صحيح][4] .

- وما رواه « عوف بن مالك » : « الأبدال في أهل الشام ، وبهم يُنصرون ، وبهم يُرزقون »[5] . [قال : بإسناد حسن] .

- وما رواه علي رضي الله عنه : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلَّما ماتَ رجلٌ أبدَلَ اللهُ مكانه رجلاً ، يُسقَى بهم الغيث ،

---

[1] عون المعبود – العظيم آبادي ج ١١ ص ٢٥٣

[2] أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال العزيزي والمناوي في شرحه بإسناد صحيح .

[3] رواه الطبراني في الكبير ، أورده السيوطي في الكتاب المذكور ، وقال العزيزي والمناوي : بإسناد صحيح .

[4] وفي النص : « لا تسبوا أهل الشام ، فإنَّ فيهم الأبدال » . رواه الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله تعالى عنه [كشف الخفاء – العجلوني ج ٢ ص ٣٥٥] .

[5] أخرجه الطبراني في الكبير ، أورده السيوطي في الكتاب المذكور . قال العزيزي والمناوي : إسناده حسن .

ويُنتَصَرُ بهم على الأعداء ، ويُصرَفُ عن أهل الشام بهم العذاب[1] »[2] . [قال : بإسناد حسن] . وقال المناوي : « زَادَ في رواية الحكيم » : [لم يسبُقُوا (أي الأبدال) الناسَ بكثرةِ صلاةٍ ، ولا صومٍ ، ولا تسبيحٍ ، ولكن بحُسنِ الخُلُق ، وصدق الورع ، وحُسن النية ، وسلامة الصدر ، أولئك حزب الله] . وقال : « لا ينافِي خبرُ الأربعين خبرَ الثلاثين ، لأنَّ الجملةَ أربعونَ رجلاً ، فثلاثون على قلب إبراهيم ، وعشرة ليسوا كذلك »[3] .

---

[1] جاء في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) : (تنبيه) [(ورد) في خبر لأبي نعيم في الحلية ، بدل قوله « بهم تقوم الأرض .. » : « بهم يُحيي ويُميت ويُمطر ويُنبت ويدفع البلاء » قال : وقيل لابن مسعود راوي الخبر « كيف بهم يُحيي ويميت ويمطر ؟ قال : لأنهم يسألون اللهَ عزَّ وجلَّ إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء »] . (تتمة له أيضاً) : روى الحكيم الترمذي أنَّ الأرض شكت إلى ربها انقطاع النبوة ، فقال تعالى : فسوف أجعل على ظهرك أربعين صديقاً كلما مات رجل منهم أبدلت مكانه رجلاً ولذلك سموا بدلاً ، أبدال الله .. فهم أوتاد الأرض ، وبهم تقوم الأرض ، وبهم تُمطَرُون (طب عنه) أي عن عبادة قال المصنف : سنده صحيح . [فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي ج ٣ ص ٢١٨] . [ملاحظة لنا : هذا الموضوع ناظرٌ للأبدال ، فيما موضوع الإمامة ، أي الإثنا عشر إماماً ، هو ممّا رواه علماء المسلمين بالمطلق ، واتفقوا عليه ، فهو « متواتر » وعليه اتفاق علماء المسلمين كلّهم .. إذاً ، موضوع الإمامة مختلف عن موضوع الأبدال . أكرِّر : الأئمّة الأثنا عشر ، الذين هم من قريش ، من آل رسول الله ، هم ورثة النبيِّ ﷺ . فيما الأبدال ، لهم دورٌ تاريخيٌّ كبير ، زمن الغيبة الكبرى ، وزمن الظهور الشريف للمهدي عليه السلام . ثمّ هناك ملاحظة مهمّة وهي أنّ هذه النصوص تشير إلى أنّ للأبدال وسيلةً عند الله تعالى ، فهم يدعون الله فتُنصرون ، ويدعون الله فتُمطرون وهكذا .. وهذا ما تتّفق عليه رواية أهل السنّة ، وعند الشيعة أنّ الرتبة الكبرى في « الوسيلة » هي للأنبياء والأئمّة ، ثمّ مَن هو بعدهم بالفضل . ويبدو بوضوح أنّ السنّة والشيعة يتّفقون على هذا الأصل الأوّلي إلا مَن شذَّ واعتبر الأمر إشراكاً ..!] .

[2] أخرجه أحمد ، وقال العزيزي والمناوي : بإسناد حسن .

[3] ن . م .

- وما رواه « أبو نعيم الأصفهاني » في « حلية الأولياء » ، بإسناده عن « ابن عمر » قال : قال رسول الله ﷺ : [خيارُ أُمَّتي في كلِّ قرنٍ خمس مائة ، والأبدال أربعونَ ، فلا الخمس مائة ينقصون ولا الأربعون ، كلَّما مات رجلٌ أبدَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ من الخمس مائة مكانه ، وأدخل في الأربعين . وكأنهم قالوا : يا رسول الله ، دلَّنا على أعمالهم ؟ قال ﷺ : يعفون عمَّن ظلمهم ، ويُحسِنُون إلى مَن أساء إليهم ، ويتواسون في ما آتاهم اللهُ عزَّ وجلَّ][1] .

- ومنها حديث « علي » رضي الله عنه : [الأبدالُ بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق] . ثمَّ قال – شارحاً للمتن – : « أراد أنَّ التجمُّع للحروب يكون بالعراق . وقيل : أراد جماعة من الزهَّاد وسمَّاهُم بالعصائب ، لأنه قربهم بالأبدال والنجباء »[2] .

إلى غير ذلك ، ما يُؤَكِّد « الطابع الروائي » المتنوِّع بخصوص هذه الطائفة وتلك التي يبدو واضحاً أنَّ لها ميزةً لافتةً . على أنَّ ذكرهم وَرَدَ أيضاً في طائفةٍ أخرى من المتون المدوَّنة في « مجامع الحديث » عند علماء الإسلام ، نذكر منها :

- ما رواهُ ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يزال أربعون رجلاً مِن أمتي ، قلوبهم على قلب إبراهيم ، يدفع اللهُ بهم عن أهل

---

[1] أورده القاري في المرقاة ، ولم يذكر تمام إسناده .

[2] كلهم من نفس المصدر الوارد أعلاه ..

الأرض ، يُقال لهم « الأبدال » . قال رسول الله ﷺ : إنَّهم لم يُدرِكُوها بصلاة ، ولا بصوم ، ولا صدقة . قالوا يا رسول الله ، فَبِمَ أدركوها ؟ قال ﷺ : بالسخاء والنصيحة للمسلمين][1] ..

- عن شهر بن حوشب ، قال : « لمَّا فُتِحَت مصر ، سَبُّوا أهلَ الشام ، فأخرج عوف بن مالك رأسه من ترسٍ ثم قال : يا أهل مصر ، أنا عوف بن مالك ، لا تسبُّوا أهل الشام ، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : فيهم الأبدال ، وبهم تُنصَرُون ، وبهم تُرزقون »[2] .
[أقول : يُراد بهم أبدال آخر الزمان ، ثمَّ قيمة المتن هنا تكمنُ في شهرة وشياع موضوع الأبدال الوارد على لسان النبي ﷺ أمَّا محاولات استغلال الإسم أو الأرض أو شبه ذلك فهذا أمرٌ آخر .. على أنَّ النصوص كما أوضَحَت « قيمة الأبدال » فقد أوضحت هويَّتهم ، وولائهم لآل محمَّد عليهم السلام وشبه ذلك ممَّا يُوَفِّر تعريفاً ضرورياً حول صفتِهم ووظيفتِهم ، لمنع الإستغلال غير الصحيح] ..

- الإمام علي عليه السلام قال : « الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر[3] ، والعصائب بالعراق » [دلالةً على وصفٍ ثلاثيٍّ ، لقيادةٍ بهذهِ الأوصاف

---

[1] المعجم الكبير - الطبراني ج ١٠ ص ١٨١

[2] المعجم الكبير - الطبراني ج ١٨ ص ٦٥

[3] تتضمَّن النصوص إشارة إلى أنَّ ثورةً إماميَّة تنهض في مصر ، تجتاحها كلَّها ، وهم نجباء مصر ، بحيث تتحدَّث الأخبار عن ثائر مصري يخرج قبل السفياني معاصر لثورة اليماني . وفي الرواية : « يخرج قبل السفياني

يقُودُونَ جبهاتٍ أو راياتٍ في مناطق ثلاث : الأبدال في ناحيةٍ من الشام ، العصائب في العراق ، النجباء في مصر ، على أنّ دورهم التاريخي الكبير يكون قبل وأثناء ظهور المهدي ﷺ][1] .

مصريٌّ ويماني » [البحار ٢١٠/٥٢] . وفي رواية أخرى : « سيكون في مصر رجلٌ من قريش أخنس يلي سلطاناً ، ثم يُغلَب عليه أو يُنتزَع منه ، فيفرّ إلى الروم ، فيأتي الاسكندريّة ، فيقاتل أهل الإسلام ، وذلك أوّلُ الملاحم » [فيض القدير للمناوي ١٣١/٤] . وهناك طوائف تتحدّث عن هذه المضامين تؤكّد هذا الطابع من قيام الثورة المصريّة الإماميّة التي تبلغ مرحلة كبيرة من النصر والظفر ، تطيح بطاغية مصر ، وتكاد أن تستلم الحكم لولا حرب الروم عليها وزحف الراية المغربيّة ثمّ الراية السفيانيّة . وتذكر الروايات أنّ طاغية مصر المخلوع يلجأ إلى الروم الجبابرة فيحتمي بهم ويستنجدهم ، فيأتي بجيوشهم ويقاتل أهل الإسلام على سواحل الإسكندريّة ، وهذه أوّل الملاحم الدامية كما في لسان الرواية وذلك في عصر الظهور . لكنّ هذه الجيوش الروميّة تبدو أنّها لا تحقّق نتيجتها ، فتعجز أمام الفعل المقاوم وصمود أهل الإسلام ، عند ذلك تعهد بالعمل الحربي إلى حليفٍ آخر هو الراية المغربيّة ، ثمّ للسفياني الذي يقوم بفعلة هائلة ، وفي رواية حذيفة بن اليمان المتخصّص بأخبار الملاحم والفتن يقول : « إذا دخل السفياني أرض مصر ، أقام فيها أربعة أشهر ، يقتل ويسبي أهلها ، فيومئذ تقوم النائحات باكية ، تبكي على استحلال فرجها ، وباكية تبكي على قتل أولادها ، وباكية تبكي على ذلّها بعد عزّها ، وباكية تبكي شوقاً على قبورها » [الملاحم والفتن لابن طاووس ٥٠] وفي رواية محمّد بن الحنفيّة عمّا يقترفه السفياني من جرائم رهيبة يقول : « إذا ظهر السفياني على الأبقع ودخل مصر ، فعند ذلك خراب مصر » [الفتن لابن حماد ١٧٤] وفي رواية أخرى : « إذا ملك رجلٌ أهل الشام ، وآخر مصر ، فاقتتل الشامي والمصري ، وسبى أهلُ الشام قبائلَ من مصر ، وأقبل رجلٌ من المشرق برايات سود صغار ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدّي الطاعة إلى المهدي ﷺ » [الحاوي للفتاوي ٦٨/٢ * الفتاوي الحديثيّة ٤٣] فهذه الرواية صريحة في بقاء الثوار المصريين الإماميين أحياء ولو في جيوبٍ وثغورٍ ما في مصر حتى خروج السفياني .. كل هذه الأحداث تزدحم في عصر الظهور ، بفضل ثورة الموطئين للمهدي ﷺ ، وهي الراية الخراسانيّة . وفي الرواية : « .. وأقبل رجلٌ من المشرق برايات سود صغار ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدّي الطاعة إلى المهدي ﷺ » [البحار ٢١٥/٥٢] . ومعلوم أنّ الراية الخراسانيّة تشكّل قطباً رئيسياً وتقود جبهة أهل الحقّ حتى الظهور الشريف .

[1] ثم يشرح صاحب الكتاب قائلاً : الأبدال هم خيار بدل من خيار ، جمع بدل وبدل . العصائب جمع عصابة . ويريد طوائف يجتمعون فيكون بينهم حرب (أي يحاربون في جبهة الحقّ جبهةً للباطل أو جبهات للباطل) ..

- أبو الدرداء - ذَكَرَ الأبدال - فقال : « ليسوا بنزّاكين ، ولا معجبين ، ولا متماوتين »[1] .[2]

- الخراساني عن عطاء ، عن « أنس » قال - مرفوعاً - : « الأبدالُ أربعون رجلاً .. كلّما مات رجلٌ بدّلَ اللهُ مكانه رجلاً[3] .. »[4] .

كلُّ هذا يُؤكّد « الطبيعة الخاصّة » المهمّة جداً ، لهذه الطوائف الجهاديّة ، خاصّةً « الأبدال » التي يبدو أنّ لها دوراً في « غاية الأهميّة » ، إمّا على مستوى « أصل وجودها » في هرمٍ خاص وسعةٍ زمنيّة أكبر - وهذه لا نعرفُ عنها تفاصيل سوى أنّ بعض النصوص « أكّدت » لها دوراً مهمّاً في

[1] نزك : أي ليسوا طعّانين في الناس ، ولا عيابين ، من النيزك ، وهو دون الرمح .

[2] - الفايق في غريب الحديث - جار الله الزمخشري ج ٣ ص ٢٨٨

[3] قال : فيه مجاهيل . [لذلك بدا واضحاً في اضطراب متنه ، وقد حذفت الإضطراب .. لكنّ أصل النصّ المروي في الطوائف الأخرى موجود ، لذا أبقيت على الأصل] .

[4] ❊❊ في كلام صاحب كتاب « القول المسدّد في مسند أحمد » قال : [قلت : « ذكرُ الأبدال » وَرَدَ في « مسند أحمد » قال : حدثنا أبو المغيرة .. عن شريح بن عبيد الله ، قال : ذُكِرَ أهلُ الشام عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلاً ، يُسقى بهم الغيث ، وينصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » . وقال : رجاله رجال الصحيح غير شريح ، وهو ثقة . وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ، مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » ، رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الواحد وقد وثّقه العجلي وأبو زرعة قبل . وأخرج أحمد من طريق صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة .. » وساق الحديث ، وفيه : « فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق .. » الحديث . وقال السيوطي في النكت : « خبر الأبدال صحيح ، فضلاً عمّا دون ذلك ، وإن شئت قلتُ : متواتر ، وقد أفردته بتأليف استوعبتُ فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك .. » [القول المسدد في مسند أحمد- أحمد بن علي بن حجر ص ٨٣] .

هرم النِّعَم الإلهيَّة كالإمطار والحفظ والنَّصر وغير ذلك بإذن الله [1] – وإمَّا من خلال إبراز « دور تاريخي » في غاية الأهميَّة لهذه الفرَق الثلاث يكون في آخر الزمن ، بالخصوص ، وذلك قبيل وأثناء ظهور المهدي عليه السلام وما بعده .

النصوص صريحة جداً في أنَّ رايات ثلاثاً هي : الأبدال ، والعصائب ، والنجباء ، سيكون لها دورٌ مهمٌّ في أحداث آخر الزمن ، وأنَّها من البقيَّة الباقية على الحقِّ ، بالإضافة إلى دولة خراسان ، وفيما بعد راية اليماني ، وأنَّها ستكون في ظلِّ عالَمٍ طاغٍ ، فاسدٍ فاجر ، يدفع نحو جحود الحقِّ الإلهي وتكريس القِيَم الشيطانيَّة [2] ..

---

[1] لا بدَّ هنا من الإشارة إلى أنَّه ورد في طائفة خاصَّة تسمية الأئمَّة عليهم السلام بالأبدال ، وقلنا سابقاً : إنَّ هذا الإستعمال الخاصَّ وارد ، وهو مختلف عن الطائفة الثانية التي تحدَّثت عن صنف من العباد الموالين لأهل البيت عليهم السلام سمَّتهم « الأبدال » وهؤلاء يكون لهم دورٌ تاريخيٌّ في نصرة المهدي عليه السلام والمناداة بالإسلام وأهل البيت في آخر الزمان . وعليه : من الأكيد جداً أنَّ ما ورد : « بهم تُنصرون وتُمطرون ، وشبه ذلك .. » هو ناظر إلى « الحجَّة » ، وفي النصِّ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله : « لولا الحجَّة لساخت الأرض بأهلها » . فإذاً النصُّ من هذه الجهة واردٌ في الأئمَّة عليهم السلام ، وبـ« العَرَض » أو بمرتبة أقلّ : في الأبدال المذكورين بلسان النصوص كجماعة لها صفة خاصَّة ولائيَّة مواظبة على الإلتزام بالإسلام ، والمناداة بأهل البيت عليهم السلام ، وصفات خاصَّة ، وهي المذكورة في المتون .. ولا خلاف في أنَّ مقام النبوَّة والإمامة يُشَكِّل الرتبة العظمى في الوسيلة إلى الله تعالى ، ثمَّ يأتي بعدهم الأفضل فالأفضل . ويبدو واضحاً أنَّ هذا الأصل إتفاقي بين السنَّة والشيعة ، بسبب وضوح النصوص في الوسيلة بهم إلى الله .

[2] ففي بيان صورة ومعالم آخر الزمان جاء في رواية حمران قال : قال أبو عبد الله عليه السلام – وذكر هؤلاء عنده عليه السلام سوءَ حال الشيعة عندهم (أي في بلادهم) – فقال : « .. إني سرتُ مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه وهو على فرس ، وبين يديه خيلٌ ، ومن خلفه خيلٌ ، وأنا على حمار إلى جانبه فقال لي : يا أبا عبد الله ، قد كان ، فينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوَّة ، وفتح لنا من العزِّ ، ولا تخبر الناسَ أنَّك أحقُّ بهذا الامر منَّا وأهل بيتك ، فتغرينا بك وبهم . قال : فقلت : مَن رفع هذا إليك عنِّي فقد كذب . فقال لي : أتحلف على ما تقول ؟ فقلت : إنَّ الناس سحرة ، يعني يُحِبُّون أن يُفسدُوا قلبك عليَّ ، فلا تُمكِّنهم من سمعك .. فقال لي :

تذكر يوم سألتك : هل لنا مُلك ؟ فقلت : نعم ، طويل عريض شديد . فلا تزالون في مهلة من أمركم ، وفسحة من دنياكم ، حتى تُصيبوا منَّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام . يقول : فعرفتُ أنه قد حفظ الحديث . فقلت : لعلَّ اللهَ عزَّوجلَّ أن يكفيك ، فإنّي لم أخصَّك بهذا . وإنما هو حديثٌ رويتُه . ثم لعلَّ غيرك من أهل بيتك يتولّى ذلك . فسكت عني . فلمّا رجعتُ إلى منزلي أتاني بعضُ موالينا فقال : جعلت فداك ، والله لقد رأيتُكَ في موكب أبي جعفر وأنت على حمار وهو على فرس ، وقد أشرف عليك يُكلّمُكَ كأنّك تحته .! فقلت بيني وبين نفسي : هذا حجّةُ الله على الخلق ، وصاحبُ هذا الامر الذي يُقتَدى به . وهذا الآخرُ يعمل بالجور ، ويقتلُ أولادَ الانبياء ، ويسفك الدماء في الارض بما لا يُحبُّ اللهُ ، وهو في موكبه ، وأنتَ على حمار ! فدخلني من ذلك شكٌ ، حتى خفتُ على ديني ونفسي . قال ﷺ فقلت : لو رأيت مَن كان حولي وبين يديَّ ومَن خلفي وعن يميني وعن شمالي من الملائكة لاحتقرتَهُ واحتقرتَ ما هو فيه . فقال : الآنَ سكن قلبي . ثم قال : إلى متى هؤلاء يملكون ، أو متى الراحة منهم ؟ فقلت : أليس تعلم أنَّ لكلِّ شيئ مدة ؟ قال : بلى . فقلت : هل ينفعك علمك أنَّ هذا الامر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين ؟ إنَّك لو تعلم حالهم عند الله عزَّ وجلَّ وكيف هي ، كنتَ لهم أشد بغضاً ، ولو جهدت أو جهد أهلُ الارض أن يدخلوهم في أشدِّ ممَّا هم فيه من الاثم لم يقدروا . فلا يستفزَّنَّكَ الشيطان ، فإنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون . ألا تعلم أنَّ مَن انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الاذى والخوف هو غداً في زمرتنا ؟ ثم قال ﷺ : فإذا رأيتَ الحقَّ قد مات وذهب أهله ، ورأيت الجور قد شمل البلاد ، ورأيتَ القرآن قد خُلِق وأُحدث فيه ما ليس فيه ، ووُجِّهَ على الاهواء ، ورأيتَ الدِّينَ قد انكفأ كما ينكفئُ الماء ، ورأيتَ أهل الباطل قد استُعملُوا على أهل الحق ، ورأيتَ الشرَّ ظاهراً لا يُنتَهَى عنه ويعذرُ أصحابه ، ورأيتَ الفسقَ قد ظهر ، واكتفى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء ، ورأيتَ المؤمنَ صامتاً لا يُقبل قولُهُ ، ورأيتَ الفاسقَ يكذبُ ولا يُردُّ عليه كذبُهُ وفريتُهُ ، ورأيتَ الصغير يستحقرُ الكبير ورأيتَ الارحام قد تقطَّعت ، ورأيتَ مَن يَمتَدحُ بالفسق يُضحكُ منهُ ولا يُردُّ عليه قولُهُ ، ورأيتَ الغلامَ يُعطي ما تُعطي المرأة ، ورأيتَ النساءَ يتزوَّجنَ النساء ، (..!) ، ورأيتَ الثناءَ قد كثُر ، ورأيتَ الرجلَ ينفقُ المالَ في غير طاعة الله ، فلا يُنهَى ولا يُؤخذ على يديه ، ورأيتَ الناظر يتعوَّذُ بالله ممَّا يرى المؤمنُ فيه من الاجتهاد ، ورأيتَ الجار يُؤذي جاره ، وليس له مانع ، ورأيتَ الكافرَ فَرِحاً لِمَا يرى في المؤمن ، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد ، ورأيتَ الخمورَ تُشرَبُ علانيةً ويجتَمعُ عليها مَن لا يخاف اللهَ عزوجل ، ورأيتَ الآمرَ بالمعروف ذليلاً ، ورأيتَ الفاسقَ فيما لا يُحبُّ اللهُ قويّاً محموداً ، ورأيتَ أصحابَ الآيات يُحتَقَرون ويُحتقر مَن يُحبُّهُم ، ورأيتَ سبيلَ الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً ، ورأيتَ بيتَ الله قد عُطِّلَ ويُؤمَرُ بتركه ، ورأيتَ الرجلَ يقول ما لا يفعله ورأيتَ الرجال يتسمَّنُون للرجال والنساء للنساء ، ورأيتَ الرجلَ معيشَتُهُ من دبره ومعيشةُ المرأة من فرجها ، ورأيتَ النساءَ يتَّخذنَ المجالسَ كما يتخذها الرجالُ ، ورأيتَ التأنيث في وُلد العبَّاس قد ظهر ، وأظهروا الخضاب وامتشطوا كما تمتشطُ المرأةُ لزوجها ، وأعطوا الرجال الأموال على فروجهم ، وتُنوفسَ في

الرجل وتغاير عليه الرجالُ ، وكان صاحبُ المال أعزَّ من المؤمن ، وكان الربا ظاهراً لا يُغيَّر ، وكان الزنا تُمتَدَحُ به النساء (..!) ، ورأيتَ المرأةَ تُصانع زوجَها على نكاح الرجال ، ورأيتَ أكثرَ الناس وخيرَ بيت مَن يساعدُ النساءَ على فسقهنَّ (..!) ، ورأيتَ المؤمنَ محزوناً محتقراً ذليلاً ، ورأيتَ البدَعَ والزنا قد ظهر ، ورأيتَ الناسَ يعتدُّون بشاهد الزور ، ورأيتَ الحرام يُحلَّلُ ورأيتَ الحلالَ يُحرَّمُ ، ورأيتَ الدِّينَ بالرأي ، وعُطِّلَ الكتابُ وأحكامه ، ورأيتَ الليلَ لا يُستخفَى به من الجرأة على الله ، ورأيتَ المؤمنَ لا يستطيع أن يُنكر إلا بقلبه ، ورأيتَ العظيمَ من المال يُنفَقُ في سخط الله عزَّوجلَّ ، ورأيتَ الوُلاةَ يُقرِّبُون أهلَ الكفر ويباعدونَ أهلَ الخير ، ورأيتَ الولاةَ يرتشون في الحكم ، ورأيتَ الولايةَ قبالةً لمَن زاد ، ورأيتَ ذوات الأرحام يُنكَحنَ ويُكتَفَى بهنَّ ، ورأيتَ الرجلَ يُقتَلُ على التهمة وعلى الظنَّة ، ويُتغَايَرُ على الرجلِ الذَّكَرِ فيبذل له نفسه وماله ، ورأيتَ الرجلَ يُعيَّرُ على إتيان النساء (..!) ، ورأيتَ الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور يعلم ذلك ويقيم عليه ، ورأيتَ المرأةَ تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفقُ على زوجها ، ورأيت الرجل يكري امرأته وجاريته ويرضى بالدنيِّ من الطعام والشراب ، ورأيتَ الايمان بالله عزوجل كثيرةُ على الزور ، ورأيتَ القمار قد ظهر ، ورأيتَ الشراب يُباع ظاهراً ليس له مانع ، ورأيتَ النساء يبذلنَ أنفسهنَّ لأهل الكفر ، ورأيتَ الملاهي قد ظهرت يُمَرُّ بها لا يمنعها أحدٌ أحداً ، ولا يجترئ أحدٌ على منعها ، ورأيتَ الشريفَ يستذلُّهُ الذي يخافُ سلطانه ، ورأيتَ أقربَ النَّاس من الولاة مَن يمتدح بشتمنا أهل البيت ، ورأيتَ مَن يحبُّنا يُزوَّرُ ولا تقبل شهادته ، ورأيتَ الزُّوْرَ من القول يُتَنَافَسُ فيه ، ورأيتَ القرآن قد ثقُلَ على الناس استماعُهُ ، وخفَّ على الناس استماعُ الباطل ، ورأيتَ الجار يُكرِمُ الجارَ خوفاً من لسانه ، ورأيتَ الحدودَ قد عُطِّلَت وعُمِلَ فيها بالاهواء ، ورأيتَ المساجدَ قد زُخرِفَت ، ورأيتَ أصدقَ الناس عند الناس المُفتري الكذب ، ورأيتَ الشر قد ظهر ، والسعي بالنميمة ، ورأيتَ البغي قد فشا ، ورأيتَ الغيبةَ تُستَملَح ويبشِّرُ بها الناسُ بعضُهُم بعضاً ، ورأيتَ طلبَ الحج والجهاد لغير الله ، ورأيتَ السلطان يذلُّ للكافر المؤمنَ ، ورأيتَ الخرابَ قد أُديلَ من العمران ، ورأيتَ الرَّجُل معيشَتُهُ من بخس المكيال والميزان ورأيتَ سفكَ الدماء يُستخفُّ بها ، ورأيتَ الرجلَ يطلبُ الرئاسة لعرض الدنيا ويشهر نفسه بخبث اللسان ليُتَّقَى وتُسندَ إليه الامور ، ورأيتَ الصلاةَ قد استُخفَّ بها ، ورأيتَ الرجل عندهُ المال الكثير ثم لم يزكّه منذ ملكه ، ورأيتَ الميت يُنبَشُ من قبره ويُؤذى وتُباع أكفانه ، ورأيتَ الهرج قد كثُرَ ، ورأيتَ الرجلَ يُمسي نشوان ويُصبح سكران ، لا يهتمُّ بما الناس فيه ، ورأيتَ البهائم تنكح ، ورأيت البهائم يفرسُ بعضُهَا بعضاً ، ورأيتَ الرجلَ يخرجُ إلى مُصلَّاهُ ويرجعُ وليس عليه شيئ من ثيابه ، ورأيتَ قلوبَ الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكرُ عليهم ، ورأيتَ السُّحتَ قد ظهر يُتَنَافَسُ فيه ، ورأيتَ المُصلِّي إنَّما يُصلِّي ليراهُ الناس ، ورأيتَ الفقيه يتفقَّه لغير الدِّين ، يطلب الدنيا والرئاسة ورأيتَ النَّاسَ مع مَن غلب ، ورأيتَ طالب الحلال يُذمُّ ويُعيَّرُ وطالبَ الحرام يُمدَحُ ويُعظَّم ورأيتَ الحرمين يُعمل فيهما بما لا يحبُّ الله ، لا يمنعهم مانعٌ ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح أحدٌ ، ورأيتَ المعازفَ ظاهرة في الحرمين ، ورأيتَ

والللافت فيها ، تركيزُها على فرقة قياديَّة (هي الأبدال) ، هذه الفرقة تقود أمَّة ، أو شعباً ، أو ناساً في آخر الزمان ، وتكون بناحيةٍ من أرض الشام

الرجل يتكلَّم بشيئ من الحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيقوم إليه مَن ينصحه في نفسه فيقولُ : هذا عنك موضوع ، ورأيتَ الناسَ ينظرُ بعضُهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور ، ورأيتَ مسلكَ الخيرِ وطريقه خالياً لا يسلكه أحد ، ورأيتَ الميت يُهزَأ به فلا يفزع له أحد ، ورأيتَ كلَّ عام يحدثُ فيه من الشر والبدعة أكثر ممَّا كان ، ورأيتَ الخلق والمجالس لا يُتابعون إلا الأغنياء ، ورأيتَ المحتاج يُعطى على الضحك به ويُرحم لغير وجه الله ، ورأيتَ الآيات في السماء لا يفزعُ لها أحد ، ورأيتَ النَّاسَ يتسافدون كما يتسافد البهائم لا ينكر أحدٌ مُنْكَراً تخوُّفاً من الناس ، ورأيتَ الرجل يُنفق الكثير في غير طاعة الله ويمنع اليسيرَ في طاعة الله ، ورأيتَ العقوق قد ظهر واستُخفَّ بالوالدين وكانا من أسوء الناس حالاً عند الولد ويفرح بأنْ يفتري عليهما ، ورأيتَ النساء وقد غَلَبْنَ على المُلك ، وغلبنَ على كلِّ أمر لا يؤتي إلا ما لهنَّ فيه هوى ، ورأيتَ ابن الرجل يفتري على أبيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما ، ورأيتَ الرجل إذا مرَّ به يومٌ ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور أو بخس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كئيباً حزيناً يحسبُ أن ذلك اليوم عليه وضيعة من عمره ، ورأيت السلطانَ يحتكر الطعام ، ورأيتَ أموال ذوي القربى تُقسم في الزور ويُتَقَامَرُ بها وتُشرَبُ بها الخمور ، ورأيت الخمر يُتداوَى بها وتوصفُ للمريض ويُستَشفَى بها ، ورأيتَ الناس قد استووا في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التديُّن به ، ورأيتَ رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرَّك ، ورأيت الأذانَ بالأجر والصلاةَ بالاجر ، ورأيتَ المساجد محتشية ممَّن لا يخاف الله ، مجتمعونَ فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحقِّ ويتواصفون فيها شراب المسكر ، ورأيتَ السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ولا يُشانُ بالسكر ، وإذا سكر أكرِمَ واتُّقي وخيفَ وتُرك لا يُعاقب ويُعذَرُ بسكره ، ورأيتَ مَن أكل أموال اليتامى يُحمد بصلاحه ، ورأيتَ القضاة يقضون بخلاف ما أمرَ اللهُ ، ورأيتَ الولاة يأتمنون الخونة للطمع ، ورأيتَ الميراث قد وضعته الولاةُ لأهل الفسوق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلّونهم وما يشتهون ، ورأيت المنابر يُؤمر عليها بالتقوى ولا يعمَلُ القائلُ بما يأمر ، ورأيتَ الصلاة قد استُخفَّ بأوقاتها ، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يُراد بها وجهُ الله وتُعطى لطلب الناس ، ورأيتَ الناس همُّهُم بطونُهُم وفروجُهُم ، لا يبالون بما أكلوا وما نكحوا ، ورأيتَ الدنيا مقبلةً عليهم ، ورأيتَ أعلام الحقِّ قد درست ، فكن على حذر واطلب إلى الله عزوجل النجاةَ ، واعلم أنَّ الناس في سخط الله عزوجل ، وإنما يُمهلُهُم لأمرٍ يُرادُ بهم ، فكُن مترقِّباً ، واجتهد ليراكَ اللهُ عزَّوجل في خلاف ما هم عليه ، فإنْ نزل بهم العذاب وكنتَ فيهم عُجِّلتَ إلى رحمة الله ، وإنْ أُخِّرت ابتلوا وكنتَ قد خرجت ممَّا هم فيه من الجرأة على الله عزوجل ، واعلم أنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين وأن رحمة الله قريب من المحسنين] . [الكافي : جـ٨ صـ٣٧ حـ٧] .

يبدو من جملة قرائن ومتون روائيَّة واضحة أنَّ لها مركزاً لافتاً وقويّاً فيما نُطلق عليه اليوم إسم « لبنان » وهو من نواحي بلاد الشام ، وهذا ما سنراهُ فيما بعد . وأنَّ هذه الطائفة تكون ذات دينٍ ويقينٍ عالٍ وذات ولاية مُعلَنَة لأهل البيت عليهم السلام وهذا أمرٌ لافتٌ جداً . إذاً هم جماعة لهم دورٌ موصوف في آخر الزمان .

ثمَّ تلفتُ إلى أنَّهم قبل ظهور المهديِّ عليه السلام يقودون ثورةً إماميَّةً تدعو إلى الحقِّ وتعادي الباطل - دون أنْ تشير النصوص إلى المدَّة الزمنيَّة لحضورهم الجبهوي الأوَّلي قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام سوى الإشارة إلى تزايد حضورهم بعد فتنة الشام التي سُمِّيت بفتنة الأحزاب - وتكون لهم منعةٌ ونفوذٌ لافتٌ في أعمال « الشقيف أرنون » (لبنان) على أنَّ هويَّتهم الصريحة ، وشعارهم العظيم الذي يُدِينون به ، هو الإسلام والولاية لأهل بيت النبي عليهم السلام .

وتُؤكِّد النصوص أنَّ هذه الفرقة ، كما هي حالُ العصائب والنجباء ، سيكون لها صلةٌ كبيرةٌ بـ « الخراساني » ، بل تخوض جملةً من الحروب تحت رايته ، وفيما بعد تحت راية المهدي المنتظر عجل الله فرجه . على الأقل : يخوضون حرباً ضدَّ الغزاة اليهود تحت راية الخراساني ، كما يخوضون حرباً دفاعيَّة ضدَّ السفياني ، وكذا ضدَّ غيره .. وهذا ما سنراهُ فيما بعد إنْ شاء الله تعالى .. وهنا لا بدَّ من الإلتفات إلى أنَّ كلمة علماء المسلمين متَّفقة بالإجمال على أنَّ ما ورد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله في « الأبدال » مُعتَبَر ، بل « متواتر

معنوي » على حدٍّ بعضِهم ، وأنَّه حقيقة ثبوتيَّة تامَّة ، بل نجد جملةً مِن « الأمراء » كانوا يحاوِلُون أنْ ينسبوا أنفسهم إلى موطنهم وموقعهم والإستهداء بالنصوص ، ليشيروا أنَّهم مِن جملةِ مَن يسكنُ أرضَ الأبدال ، وما إلى ذلك ..

تعريف أوَّلي حول أوضاع : الأبدال والعصائب والنجباء

يُمكننا تلخيص بطاقة تعريفيَّة إجماليَّة عن الأبدال والعصائب والنجباء – حسب مضامين النصوص – بالعناوين التالية :

- هم طائفة مقدَّسة ، لهم قيمة لافتة ، بنصوص النبي ﷺ . هذه الجماعة ، تقودُ في آخر الزمن ، أمَّةً من الناس ، أو شعباً ، يُنادون بالحقِّ ، وينتصرون لله تعالى ولدينه ودين نبيِّهِ وأهل بيتِهِ عليهم السلام .

- يُعرَفُون بولايتهم لآل بيتِ النبيِّ عليهم السلام .

- جبهويّاً ، يكونون في آخر الزمن – لا نعرف سعةَ الزمن الجبهوي الأوّلي لهم – لكن قطعاً يكونون في زمن الخراساني ، ولا ندري التفاصيل ، هل يكونون قبل ذلك بقليلٍ أم كثير ، لكن النصوص صريحة في أنَّهم يُعلِنُون التحالف مع الخراساني ، الذي بدوره يُعلن ولاءَهُ لأهل بيتِ النبيِّ عليهم السلام ، والذي تكون إيران موطنَ دولته ، فيما دولتُهُ يكون لهم حضور زمنيٌّ بارز . نعم ، جبهة الأبدال ورايتُهُم ، هي الأولى في الرايات الثلاث من حيث الزمن .

- أمَّا موطن دولتهم ، أو ثورتهم ، أو نفوذهم ..؟ فبخصوص الأبدال يكون موطنهم في برِّ الشام مِن ناحية أكناف بيت المقدس أو جهته (جبل عامل) . على أنَّ هذا لا يمنع مِن تواجد « قسم من

الأبـدال » فـي نـواحٍ تتَّسع لهـا تـسميةُ بـلاد الـشام ، لكـنَّ المُتُـون الروائيَّة تُصوِّب ناحيـة أكنـاف بيـت المقـدس وأعمـال الـشقيف أرنـون ، أي « لبنـان » ، وبالتحديـد : يكـون لهـم نفـوذٌ عظـيم فـي جبهـة جبـل عامـل [أعمـال شـقيف أرنـون ، وقـرى وربـوع علـى سـواحل البحـار ، وأوطئـة الجبـال ، كمـا فـي نـص الإمـام الصادق ﷺ] ، وفي طائفةٍ أخرى مِن الأخبار : في أكنـاف بيـت المقدس ، أي نواحيه ، أو أنَّ نفوذ هؤلاءِ الأبدال يصل نحـو جـزءٍ من فلسطين . بطبيعة الحال من جهة جبل عامل لأنَّ الطائفة الثانيـة أكثر تفصيلاً لجهةِ موقع ونفوذ ومركز هذه الفئـة . هـذا هـو مفـاد جملة من النصوص الناظرة إلى موطنهم .. على أنني أُعيد التأكيـد على أنَّ بلاد الشام لها سعةٌ تاريخيَّة ، وهذا لا يمنع مِـن أن يكـون مركز نفوذهم في لبنان ، وفي نفس الوقت يكون لهـم حـضور أو نفوذ في أطراف أو مراكز أخرى من بلاد الشام .. نعـم ممَّـا نقطَعُ بهِ أنَّ ناحية جبل عامل وأعمـال الـشقيف أرنـون (لبنـان) – وهـو يُطـابق المتـون الروائيَّـة الـواردة فـي أكنـاف بيـت المقـدس ، أي نواحيـه – هـو مركـز نفـوذ كبيـر لهـؤلاءِ الأبـدال . والله أعلـم .. أمَّـا مـوطن العـصائب ..؟ ففـي العـراق . ومـوطن النجبـاء ..؟ ففـي مصر .

- ملاحظة : الأبدال يُعرَفُون بعداءهم الشديد لليهود الغزاة ، فيناهضوهم ، وتكون لهم العـزَّةُ والثبـات والعاقبـة فـي ذلـك . وتؤكِّـد مـضامين

النصوص أنَّهم يظَلَّون على عداءهم وخلافهم لسياسات الروم واليهود وأحلافهم حتى ظهور المهدي ﷺ . كما يُشاركون في « الحرب الكبيرة » التي تُعلنها « خراسان » لطرد الغزاة اليهود مِن بيت المقدس .

- بخصوص الأبدال : يَصمُدُون بجدارةٍ عظيمةٍ في وجه « السفياني » الذي ينقلب على « عرش دمشق » ، ويُقاتِل جملة رايات ، بدعمٍ من الروم وغيرها ، فيحوز سلطانَ دمشق ، وأرضَ الشام ، ما خلا أرض الأبدال الذين يصمدون ويُعصَمُون كما في متن الأخبار .

- يُعانون مِن « الاضطهاد العالمي » ومِن قوَى النِّظَام الدولي الطاغية التي تُجَاهر بالعداء للإسلام ، لكنَّ الأبدال أقوياء في أرضهم وموطنهم ، يصبرون ، يتجرَّعون الآلام في سبيل حماية الإسلام الذي ينادون بِه ديناً وشريعة ، ويجدون في الخراساني أعظمَ داعمٍ لأمرهم وثباتِهم . وكذا العصائب والنجباء ، لكنَّ أهل العراق ومصر ، يُعانون بشدَّة من الروم والسفياني وحلفاءهم في لحظاتٍ تاريخيَّةٍ مُؤلِمَة .

- مع خوض الأبدال حرباً دفاعيَّةً صلبةً في وجه السفياني[1] ، وثباتهم وعصمتهم في أرضهم ، ومع ظهور المهدي[2] عليه السلام في نفس الفترة التي يخرجُ بها السفياني فتُعلَنُ عليه ﷺ جملةُ حروبٍ ، يكونُ أوَّلها من السفياني وأتباعه أوَّلَ الأمر ، فتنقضّ جيوشُ الخراساني ، واليماني ، والأبدال ، لتناصر المهديَّ عليه السلام ، بالإضافة إلى عصائب العراق ، ونجباء مصر .. لكن يبدو أنَّ النجباء المصريين يُعانون من الملحَمَة التي تخوضها في وجههم جيوشُ الروم ، في أوَّل ملحمةٍ تقع ، وهي ملحمة الإسكندريَّة ، ثمَّ جيش المغرب ،

---

[1] مركز حركة السفياني : تشير أكثر الروايات أنَّ خروجه يكون من الوادي اليابس في الأردن ، أو من المنطقة القريبة من الحدود الأردنيَّة السوريَّة . على أنَّ له مراكز انتقال أو تهيئة متنوِّعة . وأنَّ دمشق تشكِّل مركز سلطانه وحكمه . فإذا سيطر على عرش المرواني بعد انقلابٍ دمويٍّ ، عمل على توسيع رقعة ملكه ، فيمتدّ نفوذه إلى بلاد الشام كلّها إلا « بلاد الأبدال » الذين يكونون على هدي المهديِّ عليه السلام وينادون بإسمه وإسم آبائه عليهم السلام ، ويكونون في ناحيةٍ من الشام (لبنان ، ولهم نفوذ وامتداد باتِّجاه فلسطين وناحية أكناف بيت المقدس) . وبخصوص السفياني : فإنَّ نفوذه يمتدُّ إلى الأردن وسوريا وولاياتها ، ويبدو حسب المتون أنَّه يمتدُّ إلى فلسطين . أمّا لبنان ؟ قطعاً يكون بيد الأبدال الذين لا يستطيع السفياني هزيمتهم بدليل النص الصريح في عصمتهم وثبوتهم وتحالفهم الكامل مع الراية الخراسانيَّة . نعم الأكيد أنَّ السفياني يسيطر على عرش دمشق ، ومنها يبدأ سياسته التوسُّعيَّة الدمويَّة . وفي حديث الإمام علي عليه السلام : « .. فإذا كان ذلك ، خرجَ إبن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق » [كنز العمال ١١ حديث ٣١٥٣٥ * عقد الدرر ٨١] وفي حديث النبي ﷺ « .. فبينما هم كذلك إذا خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق » [عقد الدرر ٥٣] وقد وصَفَ الإمام علي عليه السلام جانباً من مخطَّط حركته فقال « .. فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون : اطلبوا مُلك الأوَّل ، فيطلبونه - يعني السفياني - فيوافونَهُ في دمشق ، بموضع يُقال لها حرستا ، فإذا أحسَّ بهم هرب إلى أخواله كلب ، وذلك ادّعاء منه ، ويكون بالوادي اليابس عدّة عديدة .. فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه ، وتتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفاً ، ثم يبعث إلى قبائل كلب فيأتيه منهم مثل السيل » [عقد الدرر ٩٩] . ملاحظة : عشيرة كلب هي ذات أصول نصرانيَّة .

[2] - هذا ظهوره الأوَّل عليه السلام الذي يكون ظهوراً خاصاً يدوم لأشهر (ربما ١١ شهراً) - إلى أن تتمَّ بيعتُهُ العامة .

ثمَّ جيش السفياني الذي يُفرِطُ في الهتك والتنكيل ، إلا أنَّ النصوص تُؤكّد أنَّ النجباء كما العصائب ، يُبايعون المهديَّ عليه السلام كما يبايعه الأبدال . ما يعني أنَّ نجباء مصر يبقون موجودين رغم الضعف الذي يُصيبهم ، كما أنَّ عصائب العراق يُعانون من بطش الجبابرة لكنَّهم يظلُّون ثابتين في المواجهة بقوَّة ، رغم معاناتهم الكبيرة من جيش السفياني وجيوش الروم وحلفاءها .. ويكون جيش خراسان ناصرَهُم ومعينَهُم في كلِّ تلك الكُرُبات الجليلة . أمَّا الأبدال ، فإنَّهم يُعانون مِن هجمة شرسة يشنُّها السفيانيُّ لكنَّهم يصمدون ويُضحُّون ، ويُعصَمُون وتُكتبُ لهم المنعة والثبات . على أنَّ راية الأبدال والعصائب والنجباء تُعرفُ برباطةِ الجأش والصبر والبذل في سبيل الله حتى ظهورِ المهديِّ عليه السلام .

- يبدو بوضوحٍ تام مِن مضامين جملة روائيَّة أنَّ جبهة الأبدال والعصائب والنجباء يُدعَمُون من الخراساني حتى ظهور المهدي عجل الله فرجه ، وأنَّ « دولة الخراساني » تكون بالنسبة إلى هذه الرايات الثلاث بمثابة « دولة المركز » والضمانة الرئيسيَّة ، في ظلِّ نظامٍ دوليٍّ ظالم مُفسِد وجائر ..

وتشير طائفة من الأخبار إلى أنَّ هؤلاءِ يكونون مِن وزراء المهديِّ عليه السلام مع جملةٍ مِن أصحاب المهديِّ عجل الله فرجه الذين يُكرَّمون بحضرة الإمامة المباركة ..

معاناة الرايات المؤمنة في آخر الزمن

نقرأ في طائفة مِن الأخبار المرويَّة ، صفةً تـدلُّ علـى نـوعٍ مـن الـبلاء ينزل على الأبدال والعصائب والنجباء في آخـر الـزمن ، وفـي بعـضها الآخـر تركيزٌ على الصبر وأنَّهُ صفةُ الأبدال ، وكـأنَّهم يُعانون مـن حـروبٍ شرسـة ، وبلايـا مختلفـة ، فـضلاً عـن عنـاء « الأحـلاف المعاديـة » للإسـلام وأهـل البيت عليهم السلام . فقد ورد في النص : « ثـلاث مَـن كُـنَّ فيـه ، فهـو مِـن الأبـدال : الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله عـز وجـل »[1] ، إذاً هم جماعة يرضون بالقـضاء ، يـصبرون علـى العنـاء ، يغـضبون فـي ذات الله ، وهذا يعني أنَّهم يتعرَّضون لجملة مِن مظاهر البلاء الـسياسي والعـسكري والثقافي والأخلاقي وقضايا مختلفـة مِـن « طغيـان الأقويـاء » بهـدف إسـقاط مشروعهم الديني ، فيصبرون ويثبتون ويمتَـنعون ، وتكـون لهـم قـدرة علـى تكوين جبهة إيمانيَّة قويَّة ، ذات شوكةٍ معروفة ..

---

[1] الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي ج ١ ص ٥٢٤

واللافت أنَّ الإمام علي عليه السلام رغم قتاله لمعاوية ، ورغم الجحود الهائل من أنصار معاوية وخروجهم على أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله ، حين قيل له : العن أهلَ الشام ، وقف عليه السلام ، ليؤكّد فسقَ أتباع معاوية وخروجهم على الحقّ ، في نفس الوقت الذي منعهم فيه من اللعن ، لأنَّ في بلاد الشام سيكون « الأبدال » الموالين لآل محمَّد عليهم السلام ، هؤلاء الذين يكون لهم دورٌ بارز جداً في آخر الزمن حيث يُشكّلون جبهةً تُعلن ولاءها للإسلام وآل محمَّد عليهم السلام وتتحالف مع السيِّد الخراساني ، وتنتصر للإمامة ، وتُجاهرُ بتعظيمها للإمام المهدي عجل الله فرجه . كان يقول عليه السلام : « لا تسبّوا أهل الشام ، فإن فيهم الأبدال »[1] . يعني الأميرُ عليه السلام بذلك ، تلك اللحظة التي سجَّلَتْهَا النصوص من نهضة الأبدال الشاميين الموالين لآل محمَّد عليهم السلام الذين يقفونَ بصلابةٍ وثباتٍ موصوفٍ لإحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ في آخر الزمن .

النصوص صريحة جدّاً في تقرير دورهم النموذجي بآخر الزمن ، الذي منه موت « خليفة » يبدو أنَّه الخليفة العباسي العراقي ، وربَّما يكون غيرهُ (الحجازي مثلاً) ، نعم القدر المُتَيَقَّن أنَّ الوضع الأمني في الحجاز يكون مضطرباً جدَّاً ، بل هناك هشاشة ظاهرة ، ويبدو أنَّ الحُكم المركزي يتعرَّض لضعفٍ مثير ، إلى درجة أنَّ السفياني يفرض هيبته وسلطته على الحجاز أو قسمٍ منها ، ويبعث جيشاً إلى المدينة ، فيرتكب فيها المجازر ،

[1] الجامع الصغير – جلال الدين السيوطي ج ٢ ص ٧٣٦

ويطرأ تحوُّل هائل في الموازين حين يُخسَفُ بجيش السفياتي المتوجِّه من المدينة نحو مكَّة لقتل المهدي عليه السلام ..

فمنذ تلك اللحظات التاريخيَّة تتمُّ المبايعةُ للمهديِّ عليه السلام ، فتقصدهُ الناسُ من الأنحاء المختلفة ، ويبدأ جيشُ المهديِّ بالزحف ، ويكون « الأبدال والعصائب والنجباء » من ضمن قادة جبهة المهديِّ عليه السلام الذين يُبايعُون ويُناصرُون ويُقاتلُون ، ويُعرَفُون بقربهم من المهديِّ عليه السلام . نصٌّ أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله عن النبيِّ صريح جداً في بيان ميزة هذه الموقعيَّة[1] .

اضطراب المنطقة بعد موت الحاكم العراقي

الحديث الوارد سابقاً ، والذي يُشير إلى موت الخليفة ، وطغيان السفياني ، واضطراب الحال ، يعني أمرين رئيسيين :

الأوَّل : الحدث الذي تترتَّب عليه جملة آثار استراتيجيَّة ، والذي يُؤثِّر بشدَّة في الميزان العسكري لقوَى المنطقة آنذاك ، وهو « موت الخليفة العباسي » ما يعكس اضطراباً في الأطراف ، بل صراعاً على السلطة في العراق . ويبدو أنَّ « العباسي » يكون من أعمدة « ميزان القوَّة » في المنطقة ..

[1] كنز العمال – المتقي الهندي ج ١٤ ص ٢٦٥ [حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله] ..

الثاني : « تحوُّل الميزان العسكري » نسبيّاً في صالح جبهة السفياني الذي يطمع في دولة العراق ، والذي - لأسبابٍ نجهلها - يجتاحُ نفوذُهُ الحجاز ، ما يُؤكّد على الأقلّ أنّ الحجاز تكون في مشكلةٍ يبدو جدّاً أنّها سلطويّة أمنيّة ، والدليل على ذلك ، جملة من النصوص التي تتحدَّث عن الحجاز والإنقسام الأمني الموجود فيها ، بل تتحدَّث عن مجزرةٍ وصدامٍ دموي يقع بين الفريقين المختلفين زمن الحجّ . وهذا يعني في النتائج المستنبطة أنّ « فراغ السلطة » في الحجاز أو انهيارها النسبي أمرٌ موجود ، على الأقلّ تكون الحجازُ تحت مرأى انقسام سياسي - أمني ينتهي بقتالٍ عسكري ، لكن - ومن دون أنْ نعرف التفاصيل - نقرأ أنّ السفياني خاصّةً بعد موت العباسي العراقي يفرض هيبتَهُ ونفوذه على الحجاز إلى درجة أنّ جيش السفياني يدخل المدينة المنوَّرة دون حرب ، ويقوم فيها بإباداتٍ فظيعة بمَن بقي مِن بني هاشم وذراريهم وأتباع أهل البيت عليهم السلام دون رادعٍ أو مانع .!

وعلى أثر الإنهيار « الأمني - السلطوي » في الحجاز ، وزحف الجيش السفياني نحو المدينة المنوَّرة يخرجُ المهديُّ عليه السلام بجملةٍ من خواصِهِ ، في حين يتفرَّق جماعة مِن الهاشميين والأتباع إلى خارج المدينة . ويقصدُ المهديُّ عليه السلام مكَّة .

على أنّ هذا الظهور هو الظهور الخاص له عليه السلام ، والذي يدوم لأشهر معدودة ، ويكون فيهِ بحالة ترقُّب وبناء للجيش الذي سيقودُهُ مِن مكَّة بعد الإعلان العام للعالم عن ظهوره عجل الله فرجه .. النصوص تكشفُ لنا أنّ السفياني

يعرفُ عبر جواسيسهِ بهذا الظهور الخاص للمهدي ، في وقت يكون فيه جيشُ السفياني الذي اقتحم العراق ، وبالأخصّ مناطق الشيعة ، يكون قد افتعل الأفاعيل ، وقتل وأباد ، وغير ذلك ، ثمَّ قَاتَل الخراسانيين ، في العراق ، ثمَّ في معركةٍ تاريخيّةٍ ، تقع في منطقة « اصطخر » الإيرانيّة ، وفي هذه المعركة بالذات يتعرَّض جيش السفياني لضربةٍ هائلة ، ومعركةٍ شرسةٍ تمزِّقُهُ تمزيقاً .

عندها يقرِّر السفياني قتل المهدي عليه السلام الذي يعلم عبر عيونه وأتباعه أنَّه قد ظهر ظهورهُ الخاص في المدينة المنوَّرة ، عند ذلك يُشَكِّل جيشاً كبيراً يبعث بهِ نحو المدينة المنوَّرة ، فيخرج المهديُّ عليه السلام نحو مكَّة ، وحين ينتهي جيشُهُ من انتهاك المدينة يبعث إليه السفيانيُّ بالخروجِ نحو مكَّة لقتل المهدي عليه السلام . وفي البيداء يقع الخسفُ الشهير بجيشهِ فيغرق في بطن الأرض .

ثمَّ أهميَّة عناصر النصِّ الواردة في موضوع المهدي عليه السلام وطلب الخراسانيين والأبدال والعصائب والنجباء وغيرهم له أنَّه يُؤكِّد على الطابع الأمني اللافت عند لحظة الإعلان العام عن البيعة ، ومفاد « الإكراه » واردٌ للإشارة إلى الظرف الأمني الضاغط ، في الحجاز والمنطقة بصورةٍ عامَّة . في حين « التأكيد » على البيعة العامَّة ، والإعلان العالمي عن الظهور العام للمهدي عليه السلام يعني أنَّ وضع الجبهة الموالية للمهديِّ عليه السلام تُحقِّق انتصاراتٍ ونفوذاً مهمَّاً ، في كلٍّ مِن : خراسان ، والعراق ، وناحية الشام ، أي صوب

أكناف بيت المقدس (نواحيه) : ناحية أعمال شقيف أرنون (لبنان) [المركز النافذ للأبدال] ، فضلاً عن تعالي نجم راية اليماني .. وما يؤكِّد هذا « الإنفراج » في جبهة المهدي عليه السلام أنَّ الأبدال والعصائب والنجباء يقصدون الحجاز بعد الخسف الشهير بجيش السفياني ، فيبايعونَهُ بين الركن والمقام .

وكأنَّ لسانَ النصِّ يُشير إلى البيعة العامَّة ، ويبدو هو كذلك ، ما يُؤكِّد التحوُّلات الضخمة على مستوى جبهة المهدي عليه السلام والموالين له . فقد ورد في النص : [.. ويبعث إليه بعث من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه « أبدال الشام » و« عصائب أهل العراق » فيبايعونه بين الركن والمقام .. فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ، ويلقي الاسلام بجرانه إلى الارض ..][1]. إذاً النص يُؤكِّد ثبات « العصائب العراقيين » وحضورهم الظاهر ، رغم ما يُصيبهم من السفياني . أمَّا الأبدال الشاميين ، فالأمر فيهم واضح لأنَّهم يثبتون ويقاتلون ويخوضون جملةً من حروبٍ ناجحة .

أمَّا النجباء المصريين فتشير طائفة أخرى إلى مبايعتهم للمهدي عليه السلام حين ظهوره ، ما يعني أنهم أيضاً يكونون ما زالوا على حضورهم حتى الظهور ، لكن منعتهم وقوَّتهم يبدو أنَّها تنحسر شيئاً ما ، مع حرب الروم

[1] كنز العمال – المتقي الهندي ج ١٤ ص ٢٦٥ [حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله] .

عليهم ، ثمَّ حرب أهل المغرب عليهم ، ثـم حـرب السفياني علـيهم[1] ، لكـنَّ مضامين أو لوازم مثل هذه الطائفة التي تؤكِّد حضورهم إلى جنـب المهـديِّ عليه السلام ومبايعته تُثبِت أنَّهم يَستَعيدُون شيئاً مِن زخمهم ، خاصَّةً مع ضعف قـوَّة السفياني التي تتعرَّض لانتكاسة كبيرة في وجـه الخراسانيين الـذين يُمزِّقـون جيشهُ في منطقة اصطخر الإيرانيَّة ، ثـمَّ مع التحـوُّل الإسـتراتيجي الكبير مع انخساف الأرض بجيش السفياني في بيداء المدينة ..

ومهمـا يكـن مِـن أمـر ، فـإنَّ الأبـدال والعـصائب والنُّجبـاء رايـاتٌ ممدوحة ، لهم حضورهم الخاص ، جبهتُهم تصبرُ صبراً عظيماً ، وتصرُّ علـى أمرِ الله تعالى ، إلى أنْ يمنَّ اللهُ على الدنيا بظهـور المهـدي عليه السلام .. فـي حـين

[1] وفي « تذكرة الموضوعات » قال : « .. قلت : للحديث (أي حديث الأبدال) طرق عديدة عن أنس وابن مسعود وابن عمر وعبادة وسندها حسن ، وعن عوف بن مالك ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وأبي هريرة وأم سلمة وغيرهم .. ثم قال: قلت : هو « صحيح » ، وإن شئت قلت متواتر ، فيه آثار كثيرة متواترة بحيث يقطع بوجود الأبدال ضرورة . وفي المقاصد : حديث الأبدال له طرق عن أنس بألفاظ مختلفة .. ومما يقوي الحديث ، ويدل لانتشاره بين الأئمة قولُ الشافعي والبخاري وغيرهما من النقاد : فلان من الأبدال ، وقول بعضهم : علامة الأبدال أن لا يولد لهم . وقول يزيد بن هارون : هم أهل العلم . وقول أحمد : إنْ لم يكونوا أصحاب الحديث فمَن هم ! وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني : النقباء ثلاثة ، والنجباء سبعون ، والبدلاء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد ، فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سيَّاحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيه النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد ، فإذا أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته [تذكرة الموضوعات - الفتني ص ١٩٤] .

راية الأبدال يتعاظم حضورها بعد « فتنة الشام » الخاصَّة[1] التي لا يكون لأهل الإيمان أيُّ دخلٍ فيها .

وبخصوص « الأبدال » - موضوع نقاشنا - فقد دَوَّنَ في وصفهم وميزتهم ، وفي الإخبار عنهم ، جملةٌ من كبار العلماء المسلمين سنَّةً وشيعة[2] ..

---

[1] إنَّها فتنةٌ تضرب بلادَ الشام ، وتبدأ بطريقة بسيطة ، لا يُظَنُّ أنْ تتطوَّر إلى هذا الحد ، وفجأةً تستفحل ، وتنفلش ، فتتداخل فيها القوى ، ويبدو أنَّ للقوى الكبرى - خاصَّة العدوَّة الكافرة - يداً في تحريكها والتأثير على مساراتها وطبيعة أحداثها . على أنَّ نهاية هذه الفتنة الهائلة تكون في غير صالح هذه القوى من أهل الشرك والكفر والنفاق والآثام . وقد قال الإمام علي ﷺ : « انتظروا الفرجَ في ثلاث : اختلاف أهل الشام فيما بينهم ، والرايات السود من خراسان ، والفزعة في شهر رمضان » وطبَّقها على فتنة الأحزاب [(البحار ٥٢/٢٢٩) .
الإمام علي ﷺ أشار إلى وقوع ثلاث علامات رئيسيَّة كبيرة ، كلّها علامة على قرب الظهور ، أولها : فتنةٌ تقع في بلاد الشام . تتفاقم وتتطوَّر بشكلٍ مثير في ظلِّ شبكة معقَّدة من خطوط الحرب والصراع والأحلاف وسفك الدماء ، لتنتهي بزحف استراتيجيٍّ من جيش خراسان نحو بيت المقدس ، فتحرِّره ، وتلتهب منطقة الأوسط ، ونواحيها على أثر ضغطٍ شديدٍ من الروم (الغرب المسيحي) ، بل والترك أيضاً (من ناحية الإتِّحاد السوفياتي السابق والله العالم) ، حيث يُعلنون عن حلفٍ ظرفي يُراد منه إنقاذ اليهود الغاصبين في وجه الخراساني . وتتعقَّد الأحداث وتتشابك ، وفي لحظة هائلة تقع الصرخة السماويَّة التي تُعلن لشعوب أهل الكون أنَّ المهديّ ﷺ قد ظهر ، وتقع الصيحة في شهر رمضان المبارك ، ثمَّ على الأثر يكون الظهور في شهر محرَّم من نفس العام .
ويبدو واضحاً أنَّ الصيحة السماويَّة تشير إلى الظهور الخاص الذي يتحقَّق في المدينة المنوَّرة أو صورتُهُ الأولى تظهر في المدينة ، فيما « الظهور العام » لبقيَّة الله الأعظم ﷺ يكون في شهر محرَّم قرب الكعبة المكرَّمة .
وبخصوص فتنة بلاد الشام ، فإنَّها تبدأ وكأنَّها لعب الصبيان ، ثمَّ شيئاً فشيئاً تتطوَّر حتى تلتهب كالنار في الهشيم . وفي الرواية : « تكون فتنة بالشام كأنَّ أوَّلها لعب الصبيان ، ثم لا يستقيم أمرهم على شيءٍ ، ولا يكون لهم جماعة » (الحاوي للفتاوي ٢/٧٥) . بحيث تتداعى أنظمة الحكم ، وتتهاوى معالم النُّظم السياسيَّة ، وتتحوَّل إلى قتالٍ دمويٍّ هائلٍ هنا وهناك ..

[2] قال في « فيض القدير » قال : [الأبدال .. خصَّهم الله تعالى بصفات ، منها أنهم ساكنون إلى الله بلا حركة ، ومنها حُسن أخلاقهم ، (في هذه الأمة ثلاثون رجلاً) ، قيل : سموا أبدالاً ، لأنهم إذا غابوا تبدَّل في محلهم

بل تقرأ طائفةً من « الشروحات » لجماعة كبيرة وبارزة من علماء المسلمين وهم يُطَبِّقُون بعض العناوين أو الصُّوَر التي يرونَها على « الأبدال »

صور روحانية تخلفهم ، (قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام) ، أي انفتح لهم طريق إلى الله تعالى على طريق إبراهيم عليه السلام . وفي رواية « قلوبهم على قلب رجل واحد » . قال الحكيم : إنما صارت هكذا لأنَّ القلوب لهت عن كل شيئ سواه ، فتعلقت بتعلق واحد ، فهي كقلب واحد . وقال في الفتوحات : قوله هنا على قلب إبراهيم ، وقوله في خبر آخر على « قلب آدم » ، وكذا القول في غير هؤلاء ممَّن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو من الملائكة معناه أنهم يتقلَّبون في المعارف الإلهية بقلب ذلك الشخص ، إذ كانت واردات العلوم الإلهية ، إنما ترد على القلوب ، فكل علم يرد على القلب ذلك الكبير من ملك أو رسول يردُ على هذه القلوب التي هي على قلبه ، وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ، ومعناه ما ذكر . وقال القيصري الرومي عن العارف ابن عربي : إنما قال على قلب إبراهيم عليه السلام لأنَّ الولاية مطلقة ومقيدة ، والمطلقة هي « الولاية الكلية » التي جميع الولايات الجزئية أفرادها . والمقيَّدة تلك الأفراد ، وكلٌّ من الجزئية والكلية تطلب ظهورها ، والأنبياء قد ظهر في هذه الأمة جميع ولاياتهم على سبيل الإرث منهم ، فلهذا قال هنا على قلب إبراهيم عليه السلام . وفي حديث آخر على قلب موسى عليه السلام ، وفلان وفلان ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الولاية الكلية ، من حيث أنه صاحب دائرة الولاية الكلية ، لأن باطن تلك النبوية الكلية الولاية المطلقة للكلية ، ولما كان لولاية كل من الأنبياء في هذه الأمة مظهراً كان من ظرائف الأنبياء أن يكون في هذه الأمة مَن هو على قلب واحد من الأنبياء . (كلما مات رجل) منهم (أبدل الله مكانه رجلاً) فلذلك سُمُّوا أبدالا ، أو لأنهم أبدلوا أخلاقهم .. وراضوا أنفسهم ، حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم ، وظاهر كلام أهل الحقيقة أنَّ الثلاثين مراتبهم مختلفة .. وقال العارف المرسي : كنت جالساً بين يدي أستاذي الشاذلي فدخل عليه جماعة فقال : هؤلاء أبدال فنظرت ببصيرتي فلم أرهم أبدالاً فتحيَّرت ، فقال الشيخ : مَن بُدِّلت سيئاتُه حسنات فهو بدل ، فعلمت أنه أوَّلُ مراتب البدلية . وأخرج ابن عساكر أنَّ ابن المثنى سأل أحمد ابن حنبل : ما تقول في بشر الحافي بن الحارث قال : رابع سبعة من الأبدال . [أمّا الحديث فعن عبادة بن الصامت] قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة [فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي ج ٣ ص ٢١٦] .

إشارةً منهم إلى رسوخ مثل هذه الطائفة في المدوّنات الحديثيّة [1] ، وصحّة ما ورد فيها . على أنّه يجب أن نفرّق بين أصل النصّ ، وبين تفسيرات البعض [2] .

---

[1] وتحت عنوان : « زيد بن صوحان » قال : كان من الأبدال ، قُتِلَ يوم الجمل . وقيل : إنّ عائشة استرجعت حين قتل ، (هو) من أصحاب علي عليه السلام . رجال الشيخ [نقد الرجال - التفرشي ج ٢ ص ٢٨٦] .

[2] روى في فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي : (الأبدال في أهل الشام وبهم ينصرون) على العدو (وبهم يُرزَقون) أي يُمطَرُون ، فيكثر النبات ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ .. ثم قال : (فائدة) قال العارف ابن عربي في كتاب « حلية الأبدال » : « أخبرني صاحبٌ لنا قال : بينا أنا ليلة في مصلاي ، قد أكملت وردي ، وجعلتُ رأسي بين ركبتي ، أذكر اللهَ تعالى ، إذ حسستُ بشخصٍ قد نفض مصلاّيَ من تحتي ، وبسط عوضاً عنه حصيراً وقال : صلّي عليه ، وبابُ بيتي عليَّ مغلوقٌ ، فداخلني منه فزع ، فقال لي : مَن يأنس بالله لم يجزع . ثم قال : اتّقِ اللهَ في كل حال . ثم إنّي ألهمت الصوت ، فقلت : يا سيدي بماذا تصير الأبدال أبدالاً فقال : بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت : الصمت والعزلة والجوع والسهر . ثم انصرف ولا أعرف كيف دخل ، ولا كيف خرج ، وبابي مغلوق » انتهى . قال العارف ابن عربي : وهذا رجلٌ من « الأبدال » .. والأربعة المذكورة هي عماد هذا الطريق الأسنى ، وقوائمه ، ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تائه عن طريق الله تعالى . قال : وإذا رحل البدل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية يجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي . فإن ظهر شوق من أناس ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمتهم وكلموه وهو غائب عنهم ، وقد يكون هذا من غير البدل ، لكن الفرق بينهما أنّ البدل يرحل ويعلم أنه ترك غيره وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه ، لأنه لم يحكم هذه الأربعة المذكور في ذلك [فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٣ ص ٢١٨] . * أيضاً ورد في « فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي » : (الأبدال بالشام - وهم أربعون رجلاً - كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلاً ، يُسقَى بهم الغيث ، ويُنتَصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب) ، زاد الحكيم في رواية عن أبي الدرداء « لم يسبقوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم ولا تسبيح ، ولكن بحُسن الخُلُق ، وصدق الورع ، وحسن النية ، وسلامة الصدر » (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) سموا أبدالاً ، لأنهم قد يرحلون إلى مكان ، ويقيمون في مكانهم الأول شخصاً آخر يشبههم .. وإذا جاز في الجن أن يتشكلوا في صور مختلفة ، فالملائكة والأولياء أولى ، وقد أثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالم الأجسام وعالم الأرواح سمّوهُ « عالم المثال » ، وقالوا : إنه ألطف من عالم الأجساد ، وأكثف من عالم الأرواح ، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من « عالم المثال » وقد وجه تطور الولي بثلاثة أمور : الأول أنه من باب تعدد الصور بالتمثيل والتشكل كما يقع للجان ، الثاني من طي المسافة وزوي الأرض من غير

مع التأكيد على أنّ « دور الأبدال » التاريخي الظاهر من المتون المرويَّة ، يكمن في وظيفتهم الكبرى ، قبيل الظهور ، ثمَّ زمن الظهور الشريف للإمام المهدي ﷺ ..

وعليه : في النتائج العامَّة :

الأبدالُ ، جماعةٌ خاصَّة ، ذات قيمة لافتة ، ورَدَتْ حقيقتُها في النصوص المتعدّدة الطُرُق ، التي نقلها علماءُ أهلِ السنَّة والشيعة[1] .

تعدد فيراه الرائيان كل في بنية وهي بنية واحدة لكن الله طوى الأرض ورفع الحجب المانعة من الاستغراق فظن به أنه في مكانين وإنما هو في واحد ، وهذا أجود ما حمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبي ﷺ ، الثالث أنه من باب عظم جثة الولي بحيث ملأ الكون فشوهد في كل مكان (حم عن علي) أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال المصنف : أخرجه عنه أحمد والحاكم والطبراني من طرق أكثر من عشرة ﴿ فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٣ ص ٢١٩ ﴾ .

[1] ورد في « فيض القدير شرح الجامع الصغير » : (الأبدال أربعون رجلاً .. كلما مات رجل أبدل اللهُ تعالى مكانه رجلاً ..) فإذا كان عند قيام الساعة ماتوا جميعاً . ثمّ قال : إنَّه لا تناقض بين أخبار الأربعين والثلاثين لأن الجملة أربعون رجلاً منهم ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم ، وعشر ليسوا كذلك ، فلا خلاف كما يصرح به خبر الحكيم عن أبي هريرة (الخلال) في كتابه الذي ألَّفه (في كرامات الأولياء عن أنس) وأورده ابن الجوزي في الموضوع . ثم سرد أحاديث الأبدال وطعن فيها واحداً واحداً وحكم بوضعها وتعقّبه المصنف [أي السيوطي] بأن خبرَ الأبدال صحيح وإنْ شئت قلتُ متواتر ، وأطال ثم قال : مثل هذا بالغ حد التواتر المعنوي ، بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورةً . وقال السخاوي : خبر الأبدال له طُرُق بألفاظ مختلفة كلّها ضعيفة ، ثم ساق الأحاديث المذكورة هنا ، ثم قال : وأصح ممَّا تقدم كله : خبر أحمد عن علي مرفوعاً : « البدلاء يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يسقى بهم [أي بدعائهم] الغيث ، ويُنتَصر بهم على الأعداء ، ويصرف بهم عن أهل الشام العذاب » . ثم قال ، أعني السخاوي : رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة . وقال شيخه ابن حجر في فتاويه : « الأبدال وردت في عدة أخبار منها ما يصح وما لا . وأما القطب فورد في بعض الآثار ، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت » . (وكذا) : (الأبدال من الموالي) ظاهره أنّ هذا هو الحديث بتمامه وليس كذلك بل بقيّته عند مخرجه الحاكم : ولا يبغض الموالي إلا منافق . وفي بعض الروايات أنّ من علامتهم أيضا أنه لا يولد لهم وأنهم لا

نعم يبقى النقاش في بعض التفسيرات ، لكنَّ أصل ورود النصِّ أمرٌ يقيني . وهي صريحة في أنَّ لهؤلاء الأبدال دوراً عظيماً في آخر الزمان ، وأنَّهم يكونون على ولاية المهديِّ عليه السلام ، ومن المجاهرين بولاية آل بيت النبي محمَّد صلى الله عليه وآله .

وعن صفاتِهم ..؟

هُم فئة ، ذات تضحيةٍ ، وجُهدٍ ، وتفانٍ ، ويقينٍ في الله تعالى ، صفة تميِّزهم عن غيرهم ، وتضعهم في رتبةٍ عاليةٍ[1] ..

يلعنون شيئاً . قال الغزالي : إنما استتر الأبدال عن أعين الناس والجمهور لأنهم لا يُطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهّال بالله ، وهم عند أنفسهم وعند الجهلاء علماء . ثُم قال : (خاتمة) قال ابن عربي : الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة فقط ، وهم أخص من الأبدال ، والإمامان أخص منهم ، والقطب أخص الجماعة ، والأبدال لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت أوصافه المذمومة بمحمودة ، ويطلقونه على عدد خاص ، وهم أربعون ، وقيل ثلاثون ، وقيل سبعة ، ولكل وتد من الأوتاد الأربعة ركن من أركان البيت ، ويكون على قلب عيسى ، له اليماني ، والذي على قلب نبي من الأنبياء ، فالذي على قلب آدم ، له الركن الشامي ، والذي على قلب إبراهيم ، له العراقي ، والذي على قلب محمد ، له ركن الحجر الأسود ، وهو لنا بحمد الله .. » . وإنما خالف المصنف [أي السيوطي] عادته باستيعاب هذه الطرق إشارة إلى بطلان زعم ابن تيمية أنه « لم يرد لفظ الأبدال في خبر صحيح ولا ضعيف إلا في خبر منقطع » . وأضاف : فقد أبانت هذه الدعوى عن تهوره ومجازفته ، وليته نفى الرواية [أي ليته حكم بعدم صحة الأحاديث] بل نفى الوجود [أي نفى أن يكون قد ورد لفظ الأبدال في خبر صحيح أو ضعيف] وكذب من ادعى الورود ثم قال : وهذا التنزل لهذا العدد ليس حقاً في كل زمن ، فإنَّ المؤمنين يقلون ويكثرون ، وأطال ، وهو خطأ بَيِّن بصريح هذه الأخبار ، بأنَّ كل من مات منهم أبدل بغيره . وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها لكن لا يُنكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طُرُقه وتعدُّد مخرجيه إلا جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصّب ، والظن به أنه من القبيل الثاني [فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي ج ٣ ص ٢١٩] .

[1] قال في فيض القدير : (ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه فهو من الأبدال) أي اجتماعها فيه يدل على كونه منهم (الرضى بالقضاء) أي بما قدره الله وحكم به (والصبر عن محارم الله) أي كفّ النفس عن ارتكابها أو شيئ منها

وفي التقييم :

للأبدال حضورٌ خاصٌّ جداً زمن المهديِّ عليه السلام ، وما قبله ، إلا أنَّهم ذخيرةٌ للمهدي عليه السلام ، أي لهم وظيفتُهم الخاصّة ، وحضورهم اللافت .

ومعلوم أنَّ أمر المهديِّ عليه السلام متواترٌ بالمطلق ، عليه اتفاقُ كلمة علماء المسلمين جميعاً . لا ينكرهُ ناكرٌ ، ولا يشكُّ فيه شاكٌّ ، بل هو دينٌ يُدانُ اللهُ به ، ونصوصُهُ متواترةٌ ، كاملةٌ ، غايةٌ في الإعتبار والكمال عند السنَّة والشيعة .

وقد روى في « فيض القدير شرح الجامع الصغير[1] » قولَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم « المهديُّ مِن عترتي ، مِن وُلدِ فاطمة »[2] ، ثم نقل التنبيه التالي ، فقال :

« قال العارف البسطامي في الجفر : هذه الدرَّة اليتيمة ، والحكمة القديمة ، ستدخل في باب السبب إلى مكتب الأدب ، ليقرأ لوح الوجود ، ثم يخرج منه ويدخل إلى مكتب التسليم ، ليطالع لوح الشهود . وقيل .. : هو (أي المهدي عليه السلام) خماسي القد ، عقيقي الخد ، وقد آتاهُ اللهُ في حال الطفولة الحكمة وفصل الخطاب ، وأمَّا أمُّه فإسمها نرجس ،

(والغضب في ذات الله عز وجل) أي عند رؤيتِهِ مَن ينتهكُ محارمَ الله [فيض القدير شرح الجامع الصغير . المناوي ج ٣ ص ٣٨٠] .

[1] [فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٦ ص ٣٦٠] .

[2] ثم قال : لا يعارضه ما يجيئ عقبه أنه : مَن ولد العباس ، لحمله على أنه شعبةٌ منه .

من أولاد الحواريين ، وقيل .. أوّل مَن يشمُّ رائحتَهُ طائفةٌ من أرباب القلوب المطَّلعين على أسرار الغيوب ، وأول مَن يبايعه « أبدالُ الشام » عند قبَّة الإسلام ، وأهل مكَّة بين الركن والمقام ، ثمَّ عصائب العراق ، ولا يخرج حتى تخرب خوز ، وكرمان ، وروم ، ويونان ، ولا يظهر الهوارج والأشرار والخوارج . ومِن أمارات خروجه يكون : المطرُ قيظاً ، والولدُ غيظاً . ومِن أكبر أمارات خروجه : انتشارُ علم الحرف ، وقيل : علم التصوّف ، وقيل : اختلاف الأقوال ، وقيل : علم النحو ، وقيل : كثرة الفتاوى ، وقيل : كثرة المساجد ، وقيل : ركوب الفروج على السروج ، وقيل : كثرة السراري ، وقيل : ارتفاع البنيان ، وقيل : ولاية الصبيان . قال : وإذا خرج هذا الإمام المهدي عليه السلام ، فليس له عدوّ مبين إلا الفقهاء خاصة ، وهو والسيف أخوان ، ولولا السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله ، لكن الله يظهره بالسيف والكرم ، فيطيعونه ويخافونه ، ويقبلون حكمه مِن

غير إيمان ، بل يضمرون خلافه . إلى هنا كلامه بنصّه وحروفه »[1] .. (ما أعظم هذه التعابير ..)

هذا ، وقد رَدَّ قسمٌ هامٌ من فقهاء أهل السنَّة وعلماءهم ، على إبن تيميَّة الذي أنكر وجود النصِ على « الأبدال » ، مؤكِّدين أنَّ وجود النصِّ على « الأبدال » شديدُ الصراحة والظهور والوضوح[2] . بل هو متواتر معنوي[3] .. حتى أنَّ بعضهم انتقل من طورِ « التحقيقِ » إلى طورِ « التطبيق »

---

[1] [فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٦ ص ٣٦٠] .

[2] وفي « فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي » : روى طائفة من النصوص في الأبدال ، منها : (لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال) . وزاد في رواية : « فيهم تنصرون وبهم ترزقون » . (ثم قال) : وفيه ردٌّ على مَن أنكر « وجود الأبدال » كابن تيمية . [فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٦ ص ٥١٩] .

[3] وقد ورد في نظم المتناثر من الحديث المتواتر تحت عنوان : (وجود الأبدال) . قال : له طرق عن أنس بألفاظ مختلفة .. وورد أيضاً عن عبادة بن الصامت ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وأبي سعيد ، وعلي ، وعوف بن مالك ، وأبي هريرة ، ومعاذ بن جبل وغيرهم . وللحافظ السخاوي فيهم جزء سمَّاهُ « نظم اللآل في الكلام على الأبدال » ، وأورد ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث وجودهم ، وطعن فيها واحداً واحداً ، وحكم بوضعها . وتعقَّبه السيوطي في « النكات » وفي « التعقبات » قائلاً : خبر الأبدال صحيح فضلاً عمَّا دون ذلك ، وإن شئت قلت : متواتر ، وقد أفردته بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك ، ثم ذكر مَن رواه من الصحابة والتابعين ، ومن أخرجه عنهم من الحفاظ ، ثم قال : ومثل ذلك بالغ حد التواتر المعنوي لا محالة بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة (اه) . وقد نقله في شرح الأحياء وأقرّه وفي شرح المواهب ما نصه : « وقد زعم ابن الجوزي أنَّ أحاديث الأبدال كلّها موضوعة ، ونازعه السيوطي ، وقال : خبر الأبدال صحيح ، وإنْ شئت قلت : متواتر ، يعني تواتراً معنوياً ، كما أشار إليه بعد (اه) . وبهذا يظهر بطلان زعم ابن تيمية أنه لم يرد لفظُ الأبدال في خبر صحيح ولا ضعيف إلا في خبر منقطع . وليته نفى الرؤية فقط ، لكنه نفى الوجود ، وكذَّبَ مَن ادعى الورود . وفي فتاوى « الحافظ ابن حجر » : « الأبدال وردت في عدة أخبار ، منها ما يصح ومنها ما لا يصح ، وأما القطب ، فورد في بعض الآثار ، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت (اه) [نظم المتناثر من الحديث المتواتر - الشيخ محمد جعفر الكتاني ص ٢٢٠] .

بخصوص الأبدال . وهذا يعني شدَّة اليقين بصدور النصّ[1] . على أنَّ النصَّ شيئ ، وبعض التفسيرات شيئٌ آخر . ولا قيمة للتفسير إنْ لم يلتزم أُطُرَ النصِّ ومعانيه .

المحافظة على عدد الأبدال

[1] وفي « نظم التناثر من الحديث المتواتر » قال : أخرج الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتاب الحجة على تارك المحجَّة بسنده إلى أحمد بن حنبل أنه قيل له : هل لله في الأرض أبدال ؟ فقال نعم . قيل مَن هم ؟ قال إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً [نظم المتناثر من الحديث المتواتر - الشيخ محمد جعفر الكتاني ص ٦] . (وبخصوص حجر قال) : (حجر بن عدي) ابن معاوية بن جبلة بن الأدبر الكندي يُكنَّى أبا عبد الرحمن ، قال أبو عمرو بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » كان حجر من فضلاء الصحابة وصغر سنه عن كبارهم . وقال غيره : كان من الأبدال وكان صاحب راية النبي ﷺ وهو يعدُّ من الرؤساء والزهاد ومحبته وإخلاصه لأمير المؤمنين أشهر من أن تذكر ، وكان على كندة يوم صفين ، وعلى الميسرة يوم النهروان ، ومن كلامه لأمير المؤمنين لما أمر بالمسير إلى الشام : يا أمير المؤمنين ، نحن بنو الحرب وأهلها ، الذين نلقحها وننتجها ، قد ضارستْنا وضارسناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ورأي مجرَّب وبأس محمود ، وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرَّقت شرَّقنا ، وإنْ غرَّبت غربنا ، وما أمرتنا مِن أمرٍ فعلنا . فقال له علي ﷺ : أكُلُّ قومك يُؤدِّي مثل رأيك ؟ قال : ما رأيتُ منهم إلا حسناً ، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وحُسن الأجابة . فقال له علي ﷺ خيراً . [الدرجات الرفيعة - السيد علي ابن معصوم ص ٤٢٣] .

أعطتهم طائفةٌ من النصوصِ نوعاً من صفاتٍ خاصَّـة ، لافتـة ، إشـارةً منها إلى علوِّ شأنِهم ، وعظمةِ موقعِهم ، وأنّهم لا ينقصون عدداً ، فكلّما مات منهم واحدٌ أبدلَهم اللهُ غيره على صفتِه ، وأنَّ لهم بهـذه الـصفة غايـةً وموقعـاً ووظيفةً لا بدَّ أن تظهـر بـشكلٍ جليٍّ - منهـا مـا يقـع مـنهم مِـن نـصرة الحـقِّ والإيمانِ والتفاني فيه في آخر الزمان[1] - .

[1] منها ما ورد في النص كما في « كشف الخفاء للعجلوني » : (الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً) (ثـم قـال) : عـزاه فـي اللآلـئ لمسند أحمـد عـن عبـادة بـن الصامت مرفوعاً ، وفي لفظ له عنه : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجـلاً ، قلوبهم علـى قلـب إبـراهيم خليـل الرحمن » . إلى آخر ما تقدم بلفظه ، ثم قال فيها : « وحكى عبد الله بن أحمد عن أبيه أنه منكر ، تفرد به الحسن بن ذكوان .. ووثَّق البخاري الحسنَ المذكور .. فهو حسن على رأي جماعة من الأئمة . وقـال الزركـشي أيـضا هو حسن . وأقول لكنه يتقوَّى بتعدُّد طرقه الكثيرة ، منها ما في الحلية عن ابن عمر رفعه خيار أمتي في كل قـرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ، ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر ، وهم في الأرض كلها ، وفي رواية : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر . وفي رواية الأبدال من الشام ، والنجباء من أهـل مصر . ومنها ما رواه الخلال في كرمات الأولياء عن أنس بلفظ الأبدال أربعون رجلاً .. كلما مـات رجـل أبـدل الله مكانه رجلاً .. ومنها كما في شرح المواهب للزرقاني ما رواه أبو النعيم في الحلية عن ابن مـسعود قـال : قـال رسول الله ﷺ : إنَّ في الخلق ثلاثمائـة قلوبهم علـى قلـب آدم ، ولله فـي الخلـق أربعـون قلوبهم علـى قلـب موسى ، ولله سبعة في الخلق قلوبهم على قلب إبراهيم ، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مـات مـن الخمـسة أبـدل الله مكانـه مـن الـسبعة ، وإذا مـات مـن الـسبعة أبـدل الله مكانـه مـن الأربعين ، وإذا مـات مـن الأربعـين أبـدل الله مكانـه مـن الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامَّة ، فبهم يُحيي ويُميت ويُمطر ويُنبت ويـدفع الـبلاء . قيل لابن مسعود : وكيف بهم يُحيي ويُميت ؟ قـال : لأنهـم يـسألون اللهَ إكثـار الأمـم ويـدعون علـى الجبابرة فيُقصمون ويستَسقُون فيُسقَون ، ويسألون فتنبت الأرض ، ويدعون فيدفع الله بهم أنواع البلاء . انتهى . ومنهـا مـا في الحلية أيضا عن ابن مسعود رفعه : « لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبـراهيم يـدفع الله بهـم عن أهل الأرض يقال لهم الابدال ، انهم لـم يـدركوها بـصلاة ولا بـصوم ولا بـصدقة ، قـال : فـبمَ أدركوهـا يـا

على أنَّه وَرَدَ في بعض الأحاديث بيانٌ لسلسلةٍ هي عبارة عن النقباء والنجباء والأبدال والأخيار والعُمَد ، إلا أنَّ النصوص التي على هذا المعنى كانت تُؤكِّد دائماً أنَّ هناك شخصاً واحداً فوق كلِّ هذه الجماعات ، هو موقع الإمامة[1] [القُطْب] . وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ موضوع « الإمامة » متواتر باللفظ والمعنى ، وهو ممَّا اتفق عليه كافَّة علماء المسلمين . وأنَّ « الأئمَّة إثنا عشر » ، وأنَّهم كلُّهم مِن « قريش » ، من بني هاشم ، أوَّلهم عليٌّ وآخرهم المهدي عليه السلام.

رسول الله ؟ قال : بالسخاء والنصيحة للمسلمين » ، ومنها ما رواه المنذري في أربعينه وتبعه أبو عبد الله المسلمي في تخريجها عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : إنَّ أبدال أمَّتي لن يدخلوا الجنَّة بالأعمال ، ولكن دخلوها برحمة الله تعالى وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين [كشف الخفاء – العجلوني ج ١ ص ٢٥] .

[1] منها ما في تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، عن الكتاني قال : النقباء ثلاثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد . فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة مِن أمر العامَّة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد ، فإنْ أجيبوا ، وإلا ابتهل الغوث ، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته . [كشف الخفاء . العجلوني ج ١ ص ٢٧] .

تفاصيل حول الأبدال :

لا بدَّ أنْ أعرض ميزةَ هؤلاءِ الأبدال على هذا النحو من البيان والتصريف :

موطنُ الأبدال وصلة الرايات الثلاث ببعضها وبدولة الخراساني : دور أهل لبنان في آخر الزمان

النصوص صريحة في إعطاء مواطن خاصَّة من بلاد الشام مركز نفوذ وظهور متنامٍ لجبهةٍ مهمَّةٍ من أنصار المهدي ﷺ ، تكون في ناحية « أعمال شقيف أرنون » ، وفي لسان طائفة أخرى ، في أكناف بيت المقدس ، أي بناحية من بيت المقدس ، بالإضافة إلى لوازم متون مرويَّة متعدِّدة ، تُؤكِّد أنَّ هذه الناحية من بلاد الشام ، ستكون على موعدٍ خاصّ مع جبهةٍ محمَّديَّة ولائيَّة لأهل بيت النبي ﷺ ، وأنَّها تناهض اليهود ، وتصرُّ على ولائها للمهدي ﷺ في آخر الزمان ، وأنَّها على صلةٍ خاصَّة جداً بالخراساني الذي يوطِّئ للمهدي ﷺ سلطانَهُ .. ما يعني بوضوحٍ أنَّ « لبنان » هو موطنُ نفوذ « الأبدال » وهو جزءٌ تاريخيٌّ من أرض الشام ، من ناحية أطرافها ، ويطلق عليه أحياناً برُّ الشام .

على أنَّني لا أدري « سعة » نفوذ هذه الراية من الناحية الجغرافيَّة ، هل هي بسعة لبنان كلِّه بالإضافة إلى بعض النواحي ، أم أنَّ لها صلةً ببعض الثغور ، أو أنَّ الأبدال لهم مركز نفوذ كبير في جبل عامل ، ولبنان ، بالإضافة

إلى أماكن أخرى كفلسطين مثلاً ، أي لهم وجود إضافي في نواحٍ أخرى ..؟ المهمُّ أنَّ لبنان يكون مركز نفوذهم ، وأنَّ جبل عامل بالذات ، يكون علامةً عليهم ، وبتعبير الإمام الصادق « أعمال الشقيف أرنون » وبيوت وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال ، ليُؤكّد عليه السلام على هذه الرمزيَّة الخاصَّة لجبل عامل ونواحيه .

نعم ، مِن المقطوع بهِ أنَّ دولة خراسان ، تُشكّل « مركز القُطب » بالنسبة إلى الأبدال الشاميين والعصائب العراقيين والنجباء المصريين . أمَّا تفاصيلَ الرايات أو الثورات أو الإنتفاضات أو الأحلاف التي مِن شأنها أنْ تنضوي بشكلٍ دائمٍ أو ظرفيٍّ ، أو غير ذلك ، تحت هذه المظلَّة التي تقودها خراسان ، فلا يوجد بين يدينا تفاصيل كثيرة حولها .. لكن مِن المقطوع به - بدليل النصوص - أنَّ علاقة الأبدال والعصائب والنجباء بخراسان والخراساني ، هي علاقة عقائديَّة ، علاقة كاملة ، علاقة ذات قوَّةٍ وتماسكٍ تام ، وأنَّها تظلُّ كذلك حتى ظهور المهدي عليه السلام وكذلك بعد الظهور الشريف ، على أنَّ القيادة الكبرى بعد الظهور تتجلَّى ببقيَّة الله الأعظم المهدي المنتظر عجل الله فرجه . أمَّا ماذا عن ثورات ، أو انتفاضات ، أو مقاومات متنوِّعة - غير راية الأبدال والعصائب والنجباء - قد تنشأ هنا وهناك ، وعن خطوط هذه العناوين في ذلك الزمن الصعب جداً ، فلا يوجد بين يدينا تفاصيل مكتملة حولها .

وعليه :

سيُشَكّل « لبنان » بالنسبة إلى الأبدال الذين يبدو أنّ نفوذهم يمتدُّ باتّجاه بعض نواحي فلسطين ، سيُشكِّل الناحية الشاميّة المهمّة ، وبالأخص « الجهة الجنوبيّة » منه ،

وسيكون بمثابة « مركز نفوذ » متنامٍ للأبدال ، الذين سيكون لهم دورُهم « اللافت » في أحداث الظهور المبارك .. وقد سُئل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فقيل له :

[كيف يكون حالُ النَّاس في حال قيام القائم (عجل الله فرجه) ؟ وفي حال غيبته (عليه السلام) ؟ ومَن أولياءُهُ وشيعتُهُ المُمتَثلين أمرَ أئمَّتهم ، والمُقتَفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم ؟

فقال (عليه السلام) : بلدةٌ بالشام .

قيل : يا ابن رسول الله ، إنَّ أعمال الشام مُتَّسعة ؟

قال (عليه السلام) : بلدةٌ بأعمال « الشقيف أرنون » ، وبيوتٌ وربوعٌ تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال .

قيل : يا بن رسول الله ، هؤلاءِ شيعَتُكُم ؟

قال (عليه السلام) :

هؤلاء شيعتُنا حقّاً ، وهم أنصارُنا ، واخوانُنا ، والمُواسُون لغربتنا ، والحافظون لسرِّنا ، واللّيِّنةُ قلوبهم لنا ، والقاسيةُ قلوبهم على أعدائنا ،

وهم كسكّانِ « السفينة »[1] في حالِ غيبتنا ، تُمحِلُ البلادُ دون بلادهم ، ولا يُصَابُون بالصواعق ،

يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويَعرِفُون حقوقَ الله ، ويساوون بين إخوانهم ،

أولئك المرحُومُون ، المغفورُ لحَيِّهم وميتهم ، وذكَرِهم وإناثهم ، ولأسودهم وأبيضهم ، وحرِّهم وعبدهم ،

وإنَّ فيهم رجالاً « ينتظرون » ، والله يُحبُّ المنتظرين][2] .[3]

كما ترى :

نصٌّ مذهلٌ ، وتعابير مدهشة وهائلة ..! إنَّه ﷺ يُؤكِّد على عظمة أهلِ تلك « الناحية » التي يكون فيها « أبدال الشام » في آخر الزمان ، وقد وصَفَهم بالثابتين على الحقِّ ، القائمينَ بأمر الله ، المنتَظِرين للمهدي عجل الله فرجه ، وحدَّد رمز نفوذهم في منطقة « عاملة » (جبل عامل) ، في ناحيةٍ من بيت

---

[1] يقصد بها التشبيه بسفينة نوح .

[2] الحر العاملي ، أمل الآمل ، مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ الجزء الأول ص : ١٦/١٥ . نقلاً عن الشهيد الأوّل ، عن إبن بابوية .

[3] [معجم البلدان – الحموي ج ٣ ص ٣٥٦] : شقيف أرنون : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ، وفاء ، وبعد الراء الساكنة نون ثم واو ساكنة ، ونون أخرى ، والشقيف كالكهف أضيف إلى أرنون اسم رجل إمَّا رومي وإما أفرنجي : وهو قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل . أقول : « وهو الآن حسب التقسيم الجغرافي للدول في لبنان ، ضمن جبل عامل ، والمقصود من النص أنَّ هؤلاءِ يكونون في لبنان ، خاصة النص يؤكِّد فيقول : « وبيوت وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال .. » .

المقدس ، كما حدَّدَ « زمنهم » بزمن الغيبة ، موضحاً أنَّهم يثبُتون كذلك حتى زمن الظهور العظيم ، وأنَّهم يكونون مِن شيعة آل محمّد ، بل مِن المُضَحِّين ، العاملين ، المنتظرين ، المحفوظين ، الثابتين ، الذين تخرب البلاد ولا تخربُ بلادهم ، دلالةً على صمودهم وثباتِهم وقوَّة شوكتهم وحفظهم مِن الله تعالى .

كما يشيرُ النصُّ إلى حقائق شديدة الأهميَّة والدلالة ، منها :

- إنَّ هؤلاءِ الأنصار المُضَحِّين الثابتين الذين يكونون في ناحية الشام ، بالأخص : في منطقة جبل عامل ، في ناحيةٍ واضحةٍ مِن نواحي بيت المقدس ، يعني في أكنافه ، الذين تعرف منطقتُهم برمزٍ تاريخيٍّ شهير ، وهو « أعمال » الشقيف أرنون . ولفظ « أعمال » تعبيرٌ تاريخي يُراد منه الإشارة إلى كلِّ تلك المنطقة ، ثمَّ لِيُؤكِّد أنَّ المقصود هو ناحيتُها ووطنها لذلك يشير إلى بيوتٍ وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . إشارةً إلى « وطن جبهة الأبدال » ، وموقع نفوذهم ، وأنَّهم الفئةُ البارزة التي تكون بأكناف بيت المقدس ، أي في ناحيتِهِ ، ما يعني بوضوحٍ تام ، أنَّ لبنان سيكون مركز نفوذ الأبدال .

- ثمَّ يُؤَكِّد النصُّ بوضوحٍ كاملٍ على أنَّ هؤلاءِ يكونون شيعةَ أهل بيتِ النبيِّ عليهم السلام في آخر الزمن .

- أكثر من ذلك ، النصُّ يُعطيهم صفاتٍ وظيفيَّةً مهمَّةً ، مثل : هم « أنصارُنا » ، اخواننا ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، المنتظرون لأمرنا ، ما يعني أنَّهم جبهة وقوَّة ذات حضور مهمٍّ ، وهذا ما دلَّت عليه النصوص ، وأكَّدت أنهم يناضلون بجُهدٍ وثباتٍ وبذلٍ وتضحياتٍ ، فيثبتون ، ويُعصمون بإذن الله .

- ثمَّ يُعطيهم النصُّ وصفاً في غاية الأهميَّة وهو : أنَّ هؤلاءِ هم « المُواسُون لغربتنا » ، إذاً هم موضع عزَّة ، وقوَّة واعتقاد ، وثبات ، وعزم ، وتضحيات ومنعة ، إلى درجة أنهم يُشَكِّلون رمزاً من رموز المواساة زمن الغيبة . [النصُّ دقيقٌ في ضرورة الإشارة الخاصَّة ووصفها ، فلاحِظ ..] .

- ثم يقول عليه السلام : هم « الحافظون لسرِّنا » ، ما يعني أنَّهم حَمَلَةُ علمِ أهل بيت النبيِّ عليهم السلام ، وبه يُعرفُون ، ومِن أجلهِ يرفعون رايتَهم المباركة ، وبه يُنادون ويقومون ، وبهويَّتهِ يشتهرون ، حتى الظهور الشريف . [النصوص في هذا المجال شديدة التفصيل والأهميَّة ..] .

- ثمَّ يُؤكِّد عليه السلام على ناحيةٍ لافتة من وصفهم فيقول : « الليِّنة قلوبهم لنا ، والقاسية قلوبهم على أعدائنا » ، إذاً هم أهلُ تقىً وإيمان واعتقاد كبير ، أهلُ لينٍ إلى درجة ينطبقُ عليهم قول الله

تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩/٤٨﴾ .. وأنَّهم أيضاً أهلُ ثباتٍ واعتقاد وجهادٍ وتضحياتٍ ورهبة . النصُّ يصفهم بأنَّهم أصحابُ عزمٍ وثباتٍ وقوَّة : « القاسية قلوبهم على أعدائنا » وهذا يعني أنَّهم أصحاب حربٍ وجهاد واجتهاد وبذلٍ وتضحياتٍ جسَامٍ ومنْعَة صلبة .. تعابير النصِّ تختزنُ دلالاتٍ عميقة على صفتهم « الجهاديَّة » وقوَّتهم .. إذاً هم مجاهدون من نوعٍ خاص ، وهذا ما أكَّدته طائفة مهمَّة من الروايات بوضوحٍ شديد . [لاحظ : من صفاتهم اللافتة جداً أنَّهم « **جهاديُّون** » ، يسكنون ناحيةً من بلاد الشام ، النص واضحٌ أنَّها في « لبنان » الذي سيكون رمز حركتهم وجهادهم ، ومهدَ رايتهم . ومنه يمتدُّ نفوذهم خاصَّةً باتّجاه فلسطين] .

- ثمَّ يحدِّد ﷺ صفتَهم من الحقِّ ، فيؤكِّد أنَّهم « كسكَّان السفينة في حال غيبتنا » ، يريد بذلك سفينة نوح ﷺ ، إذاً هم أهلُ

الحقّ ، وأهلُ الحقّ زمنَ الغيبة قلَّة .. من هنا يشدِّد عليه السلام على أنَّهم رمزُ الحقّ في ذلك الزمن بالإضافة إلى قلَّة على رأسهم دولة خراسان العظيمة . لذا أكَّدت النصوص المعتبرة أنَّهم يكونون على صلة كبيرة بالخراساني ، الذي تُشكِّل دولته المباركة « مركزَ القُطب » بالنسبة إلى الأبدال والعصائب والنجباء ..

- واللافت جدّاً أنَّ أرضهم (أرض الأبدال) - وفي وقتٍ ملتهبٍ بالأحداثِ والصِّداماتِ - تُعصَم بإذن الله ، كما في إحدى تعابير الإمام الصادق عليه السلام إشارةً إلى منعتِهم ، وثباتِهم ، رغم أنَّهم يكونون في « قلب الحرب » وضمن معركةٍ عنيفةٍ بوجه السفياني . ثمَّ في جملةٍ من الأحداث المهمَّة يقول عليه السلام : « تمحلُ البلادُ دون بلادهم ، ولا يُصابون بالصواعق » ، يبدو من النصِّ أنَّه إشارة إلى وقتٍ محدَّد ، وخطٍّ ناريٍّ مُلتهب ، وظروف انقلابيَّة خطيرة ، تتأثَّر بها المنطقة ، لكنَّ منطقة الأبدالِ تُعصَم ، وعلى سبيل المثال : يُحاول السفياني بكلِّ ما أمكنه تدمير رايتهم واحتلال بلادهم ، لكنَّه يفشل بشكلٍ صارم .. [النص يشير أيضاً إلى أنَّهم - آنذاك في فترة ما لافتة - لا يتأثَّرون بالأزمة الإقتصاديَّة ، ولا بالدمار والنار .. وهذا مهمٌّ للغاية في عمليَّة بناء خطوط الأحداث المستقبليَّة ووصفها] .

- وعن سرِّ عظمتِهم ..؟ يشيرُ عليه السلام إلى واحدةٍ من الصفاتِ المهمَّة جداً فيهم، فيقول: « يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويَعرِفُون حقوقَ الله، ويساوونَ بين إخوانهم ». إذاً هم جماعة لا يكفي أنَّهم يتَّخذون الإسلام شعاراً، بل يُطبِّقُونَهُ في حياتهم وحياةِ أمَّتِهم ومجتمعهم السياسي الذي يقودونه. وأنَّ سمة قيادتهم تقوم على « العدل الإلهي » والإسلام المحمَّدي النبويِّ، وولاية أهل البيت عليهم السلام، وأنَّهم يُحافظون على حقوق الله وحقوق الناس ويُعرَفُون بمبدأ المساواة. [كلُّ هذه الصفات تُؤكِّد بلا شكّ أنَّهم يملكون « السلطة السياسيَّة ومؤسساتِها »، ويكون لهم نفوذ وقوَّة، وحكمة، ومحبَّة في قلوب الناس ..].

- ثمَّ يُغدقُ الإمام عليه السلام عليهم نوعاً من الخصائص التي تهتزُّ لها القلوب فيقول: « أولئك المرحُومون، المغفور لحيِّهم وميتهم، وذكَرهم وإناثهم، ولأسودهم وأبيضهم وحرِّهم وعبدهم »، ما يعني أنَّهم على نحوٍ من تقىً وصفاء وإخلاص ويقين وتضحياتٍ رفعتهم إلى صفٍّ هذه الرتبة العظيمة ..

- الأهم على الإطلاق: أنَّهم « من الجماعة » التي فازت وتعاظمت بميزة الإنتظار، وكما في النصِّ: « أعظم العبادة انتظار الفرج »، أي هؤلاءِ جماعة، رفعوا الإسلام شعاراً، وأعدُّوا ما

أمكنهم لسلطنة دين الله ودين رسوله وأهل بيته عليهم السلام ، وأقاموا العدل ، وأعلنوا الشريعةَ سبيلَ الله في أرضهم ، وهم منتَظِرُون ظهورَ بقيَّة الله الأعظم بثباتٍ ويقينٍ وعملٍ ، لذا قال عليه السلام : « .. وإنَّ فيهم رجالاً ينتظرون ، واللهُ يحبُّ المنتظرين »[1] .. إنَّه الزمنُ الكبير الذي أُعطِي للأبدال ، ليُتَابِعُوا شوطَ العظمة تحت لواء المناداة بالإسلام وولاية أهلِ بيتِ محمَّدٍ عليهم السلام ..

وكما ترى : هذه هويَّة كاملة للأبدال ، في منطقتهم ، وناحيتها ، وصفتهم الولائيَّة ، وزمنهم ، وخطوط صلتهم ، وتضحياتهم وشبه ذلك ، التي تُكرِّسُهُم على نحوٍ ملحوظٍ من التفاني والتضحيات والثبات واليقين والمناداة بالمهدي عليه السلام في ذلك الزمن الطاغي بالجور والفساد ..

وفي الخلاصة :

الأبدال الشاميُّون ، قومٌ يكونون في منطقة من « بلاد الشام » حَدَّد الإمامُ الصادق عليه السلام جهتها بوضوح ، مؤكِّداً على منطقة « جبل عامل » وجهته[2] (أي لبنان) ، وهذه موقعيَّاً تقع في ناحية « بيت المقدس » كما يُستفاد من بعض المضامين المرويَّة أنَّه يكون لهم نفوذ لافتٌ في ناحية بيت المقدس (فلسطين) ، وأنَّهم في لحظةٍ تاريخيَّة حاسمة ، يعصمهم اللهُ في

---

[1] الحر العاملي ، أمل الآمل ، مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ الجزء الأول ص : ١٥/١٦ .

[2] فيقول مشيراً إلى الجهة الجغرافيَّة من بلاد الشام ، إنَّها في أعمال الشقيف أرنون وبيوتٍ وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . أي في لبنان . والحديث إشارة عن الجهة .

وجه السفياني ، حيث يقاتلونه بشدَّة هائلة ، ويصدُّون هجماته ، ويصبرون رغم الجهد فيفشل السفياني في النيل منهم . ويكونون على علاقة تامَّة بالسيِّد الخراساني الذي يُشَكِّل رمز الدولة الموطِّئة لسلطان المهدي عليه السلام . النصوص صريحة في ذلك .

كما يناهضون اليهود أيضاً . بل من قِبَلِهِم – وفي وقت تاريخيّ حاسم – تدخل فرقةٌ من الخراسانيين[1] والأبدال ، وفي بعض المتون أنَّ الخراسانيين يُمدُّون بجند « الأبدال » زمن تحرير بيت المقدس ..

ثمَّ النصُّ صريحٌ جداًّ في التأكيد على أنَّ لبنان يكون تحت يد الأبدال الإماميين ، وضمن طواعيَّتهم وسلطانهم . وأنَّهم يصمدون في وجه « السفياني » الطاغي ، رغم سقوط « الكور الخمس » إلا منطقتهم . وأنَّ هذه « الراية » تظلُّ « قويَّةً نافذةً » حتى ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي حين يظهر ، يذهب إليه قادتُها بفخرٍ وتعظيم ، فيبايعونه بين الركن والمقام[2] .

---

[1] بالإضافة إلى خطٍّ كبيرٍ من الزحف الخراساني من جهةٍ أخرى ، يزحف نحو تحرير بيت المقدس ..

[2] يظهر المهدي عليه السلام والسفياني يسيطر على بلاد الشام كلِّها إلا منطقة أبدال الشام الموالين للمهدي عليه السلام . وتزداد الصيحة بطلب المهدي عليه السلام ، فيزحف جيش المهدي عليه السلام إلى السفياني ، فيخشى السفياني منه ، بعد خسف البيداء ، فيُعلن حسب بعض المتون طاعته للمهدي عليه السلام بعد الخسف ، ثم يتراجع بعد ذلك ، وفي الرواية عن محمد بن علي قال : « إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الابدال حتى ينزلوا إيليا ، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا : لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الارض إن هذا لعبرة وبصيرة ويؤدي إليه السفياني الطاعة ، ثم يخرج حتى يلقى كلباً وهم أخواله ، فيعيِّرونه بما صنع ويقولون : كساك الله قميصاً فخلعته . فيقول : ما ترون أستقيله البيعة ؟ فيقولون : نعم . فيأتيه إلى إيليا فيقول : أقلني ، فيقول : إنِّي غير فاعل ، فيقول : بلى ، فيقول له أتحبُّ أن أقيلك فيقول : نعم ، فيقيله ، ثم يقول : هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا . ثم يسير

وتتّفق الروايات على أنّ أكبر وجود « نفوذ » أتباع أهـل البيـت عليهم السلام في عصر الظهور ، يكون في إيران والعراق ولبنان . أو ربّما تمتازُ هذه البقـاع براياتِها .. بالإضافةِ إلى رايةِ النجباء المصريين[1].. على أنّ « إيـران » تُـشكِّل

إلى كلب ، فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب » [الفتن لنعيم بن حماد ٢١٥] فيتوجّه المهدي عليه السلام بجيوشه نحو بلاد الشام ، وهي مكوّنة من ثلاثة ألوية : القلب ويتقدّمه هو عليه السلام ، والميمنة يتقدّمها اليماني ، والميسرة يتقدّمها الخراساني . وتنتهي المعركة بقتل السفياني وتحرير بلاد الشام . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام : « يعمل عمل الجبابرة الأولى — يعني السفياني — فيغضب الله ومن في السماء لكلِّ عملِه ، فيبعث عليه فتىً من قبل المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، هم أصحاب « الرايات السود » المستضعفون ، فيعزّهم الله ويُنزِلُ عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحدٌ إلا هزموه ، ويسير الجيش « القحطاني » ، حتى يستخرجوا الخليفة وهو خائف ، فيسير معه تسعة آلاف من الملائكة ، معه راية النصر ، وفتى اليمن ، حتى ينزلوا دمشق ، فيفتحونها أسرع من التماع البرق ، ويهدمون سورها ، ثم تبنى وتعمر ، ويساعدهم عليها رجلٌ من بني هاشم اسمه اسم نبي ، فيفتحونها من الباب الشرقي ، قبل أن يمضي من اليوم الثاني أربع ساعات ، فيدخلها سبعون الف سيف مسلول بأيدي أصحاب الرايات السود ، شعارهم : أمت أمت ، أكثر قتلاهم فيما يلي المشرق » [كنز العمال ١٤ حديث : ٣٩٦٨٠] . إشارة إلى اشتراك راية اليماني والخراساني والسيّد الحسني وشعيب بن صالح في حربهم وتضحياتهم بين يدي الإمام المهدي عليه السلام .

[1] العصائب والأبدال والنجباء : تكرّر الروايات الإشارة بدقّة إلى ثلاث رايات موالية لأهل البيت عليهم السلام في أخبار العلامات بعصر الظهور ، لتؤكّد أنّ العصائب من العراق ، والأبدال من الشام ، والنجباء من مصر ، وأنّهم جميعاً من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام باتفاق روايات الفريقين . وفي رواية حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « عند خروج القائم عليه السلام ينادي مناد من السماء ، أيّها الناس ، قطع اللهُ عنكم مدّة الجبّارين ، ووَلّي الأمرَ عليكم خيرُ أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ، فالحقوه بمكّة ، فيخرج النجباء من مصر ، والأبدال من الشام ، وعصائب العراق ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار ، كأنّ قلوبهم زبر الحديد ، فيبايعونَهُ بين الركن والمقام » (الإختصاص ٢٠٨) . وعن الإمام علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا علي ، عشر خصال قبل يوم القيامة .. ورجلٌ منّا أهل البيت ، يُبَايَع له بين زمزم والمقام ، يركب إليه عصائب أهل العراق ، وأبدال [أهل] الشام ، ونجباء أهل مصر ، ونصير أهل اليمن » (دلائل الإمامة ٢٤٨) . وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام : « يُبَايِع القائمَ عليه السلام بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف رجل ، عدّة أهل بدر ، منهم من النجباء من أهل مصر ، والأبدال من أهل الشام ، والأخيار من أهل العراق » (البحار ٥٢/ ٣٣٤) . أيضاً يمكنك أن تراجع مصادر أهل

« مركز القُطب » بالنسبة إلى هذه الرايات .. ومع تطوُّر الأحداث ، والتهاب المنطقة بالدمار والنَّار ، وتجييش الجيوش ، وحمولة الأجنحة ، والرمي بالصواعق ، تتعرَّض مراكز « الرايات الإماميَّة » لهجمةٍ شرسةٍ من السفياني المدعوم من الروم ، وجملة مِن جيوش أهل هذه المنطقة ..

وعليه :

يُهيِّئ السفياني جيشاً جرَّاراً فيبعثه إلى العراق ثمَّ يُعدُّ العدَّة لقتال الخراسانيين ، على أنَّ أكبر همِّه يتركَّز في القضاء على أهل المشرق ، وفي الرواية : « ليس له همَّة إلا أهل المشرق»[1] . أي شيعة إيران والعراق[2] .

السنَّة في ذلك : (المصنف للصنعاني ٣٧١/١١ والمصنف لابن أبي شيبة ٤٥/١٥ ومستدرك الصحيحين ٥٥٣/٤) .

[1] [الفتن ١٧٦/]

[2] وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « كأني بالسفياني قد طرح رحله في رحبتكم في الكوفة ، فنادى مناديه : مَن جاء برأس شيعة عليٍّ فلهُ ألف درهم ، فيَثِب الجارُ على جاره ويقول : هذا منهم ، فيضرب عنقه ، ويأخذ ألف درهم . ثمَّ قال عليه السلام : أمَا إنَّ إمارتكم يومئذٍ لا تكون إلا لأولاد البغايا ، وكأنّي أنظر إلى « صاحب البرقع » ، قلت : ومَن صاحبُ البرقع ؟ فقال عليه السلام : رجلٌ منكم ، يقول بقولكم ، يلبس البرقع ، فيحوشكم فيعرفكم ، ولا تعرفونَهُ ، فيغمز بكم رجلاً رجلا ، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي » [البحار ٢١٥/٥٢] . وعلى الأثر يشنُّ السفياني حرباً مِن العراق على أتباع أهل البيت عليهم السلام في إيران .. ومن العراق يبعث جيشاً جراراً إلى بلاد الحجاز لقتل أتباع أهل البيت عليهم السلام في المدينة والحجاز ، وبالأخصِّ يريد قتل المهديِّ عليه السلام ، وذلك بعد هزيمته الكبيرة أمام الخراسانيين في منطقة اصخر ، فيبعث بجيشٍ إلى مدينة النبيِّ صلى الله عليه وآله ، فيقوم بقتل أتباع أهل البيت هناك قتلاً رهيباً ، لا يفرِّق بين ذكرٍ أو أنثى ، أو كبير وصغير . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام : « يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله ، بعدما يعركها عرك الاديم ، يأمره بالسير إلى « الحجاز » ، فيسير إلى المدينة ، فيضع السيف في قريش ، فيقتُل منهم ومن الانصار أربع مائة رجل ، ويبقر البطون ويقتل الولدان . ويقتل أخوين من قريش ، رجل وأخته يُقال لهما محمَّد وفاطمة ، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة » [الفتن لابن حماد ١٩٩] .

أما ناحية بلاد الشام - أعني برّ الشام الخاص بـ « لبنان » الذي يحتضن « مركز نفوذ راية الأبدال » وحركتهم العسكريّة الكبيرة ، ذات القوَّة والمنعة والصبر على الجهاد والصمود - فإنَّ السفياني يفشل في فتح هذه المنطقة ، حيث يُشَكّل الأبدال عقبةً رئيسيَّةً في وجه تمدُّد السفياني وخُطَطه لإنهاء وجود أتباع آل محمّد عليهم السلام . وفي مضامين الروايات المعتبرة أنَّ السفياني يسيطر على بلاد الشام كلّها إلا منطقة « الأبدال » من ناحية الشام . وفي صريح الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام :

[فينقاد له « أهلُ الشام » ، إلا طوائف من المقيمين على « الحقِّ » ، يعصِمُهُم اللهُ مِن الخروج معه][1] ..

وذلك بما يملكُون من قوَّة وصمود ، ومواجهة وصبرٍ وأناة ومنعة . ومعلوم أنَّ الأبدال يكونون مشهورين بتحالفهم مع الخراساني الموطِّئ للمهديِّ سلطانه[2] .

---

[1] [البحار ٢٥٢/٥٢]

[2] وقد جاء في وصف الموطئين الخراسانيين بأنَّهم« دعاةُ حقّ ، يقومون بإذن الله ، فيدعون إلى دين الله » [شرح نهج البلاغة ٤٨/٧] على أنّه تتوسَّع بقعة رايات أتباع أهل البيت عليهم السلام مع الحدث المهمّ للغاية ، حين يخرج اليماني ، الذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام : « لا يحل لمسلم أن يلتوي عليه .. لأنّه يدعو إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم » [الغيبة للنعماني ٢٥٣] كلُّ ذلك فضلاً عن خريطة وجود الشيعة وراياتهم المتنوِّعة مثل نجباء مصر وعصائب العراق وأبدال الشام الذين يحالفون الخراساني واليماني . وهناك رواية لافتة تشير إلى وجود « راية شيعيَّة » تتزعَّم حركة منظَّمة يقودها « سيِّد حسني » من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، فإذا خرج السفياني اصطدم بها وانتصر عليها ، وهذه هي المعنيَّة في قول الإمام الصادق عليه السلام مع سدير : « يا سدير ، الزم بيتك ، واسكن ما سكن الليل والنهار ، فإذا بلغك أنّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ، ولو على رجلك ، قلت : جعلت فداك ، هل قبل ذلك شيئ ؟ قال عليه السلام : نعم ، وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال :

عبَّرت طائفة متنوِّعة من النصوص عن « عظمة دولة خراسان » ، ووصفتها بأنَّها « دولة الموطِّئين للمهدي عليه السلام » . وفي جملةٍ مهمَّة من المتون يبدو واضحاً أنَّ الرايات التي تكون في الشام أو مصر أو العراق إنَّما هي « رايات فرعيَّة » ذات صلة بمركز رئيسي ، أو ذات تحالف كبير بقُطب رئيسي ، له حضور ومنعة ، وقدرة ، ونفوذ ، أعني بذلك « دولة خراسان » التي يقودها السيِّد الخراساني .

على أنَّ الروايات كانت صريحةً جدّاً في أنَّ خراسان الإماميَّة ، تُشَكِّل رمز راية أهل الحقِّ ، والأمَّة المُصرَّة على الإسلام والإيمان في ذلك

ثلاث رايات ، راية حسنيّة ، وراية أمويّة ، وراية قيسيَّة ، فبينما هم على ذلك خرج السفياني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط » [روضة الكافي ٢٦٤] . وهذه الراية غير راية الأبدال . ويبدو أنَّ هذه الراية الحسنيَّة تكون في دمشق أو الشام وفق التقسيم المعروف اليوم . في حين راية الأبدال يكون مركز نفوذها في لبنان وشيئاً ما باتِّجاه فلسطين أو أكناف بيت المقدس . الروايات الكثيرة تُؤكِّد أنَّ راية أهل الحق ، أي راية الأبدال ، تصمد بقوَّة أمام جيش السفياني الكبير ، وتمنعه من توسُّعه في منطقتِها . صريح بعض النصوص أنَّها لا تُهزَم . بل صريح الرواية أنَّها تثبت ، ويفشل السفياني في فتح بلادهم ، ويُعصمون كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام . في حين يبدو أنَّ رايةً ما ، حسنيَّة ، تكون في دمشق أو الشام حسب التقسيمات العصريَّة ، فتقاتل السفياني أوَّل أمره في دمشق أو قريباً منها ، لتمنعه مِن السيطرة على الحكم أو تُبطِلَ أمره ، لكنَّها تفشل في ذلك . هذه الراية لا نعرف تفاصيل عنها ، ولا ندري هل هي راية بنفسها ، أم أنّها جيبٌ لرايةٍ كبرى ، ولا أستبعد أنَّ تكون جيباً لراية . لكن المهم – بدليل النصوص – أنَّ راية الأبدال ، تبقى ثابتة قويَّة صامدة في وجه السفياني الذي يفشل في فتح بلادها .

الزمن ، وأنَّ لها حضوراً تاريخيَّاً ، ونفوذاً إقليميَّاً كبير جداًّ ، بل تُشَكِّل واحدةً من الدول ذات الأثر العالمي بسبب حضورها الإقليمي الكبير . والتي تقف بشراسة في وجه المخطَّط الرومي وحلفاءه ، وتقرأ دواعي الأحداث بدقَّة مهمَّة للغاية ، إلى درجة تُحدِّد فيها تموضعها في أكثر من قضيَّة استراتيجيَّة ، منها على سبيل المثال ، المعركة « الملحمة » التي تتقاتل فيها رايات وجيوش الجبابرة ، من الشرق والغرب ، أعني بذلك معركة قرقيسيا ، والتي تتَّخذ منها خراسان موقعاً متأهِّباً ، لكنَّها لا تشترك في تلك الملحمة ، إلى درجة أنَّ النصوص تُؤكِّد أنَّه لا أحد من الرايات يحوز ذلك المال « الجوفي الضخم » إلا خراسان في نهاية الأمر ، بعد أن تتهالك القوى وتتشقّق منعتها ، وأنَّ خراسان لا تطلب الحرب من أجل الثروة ، بل تخرج بقوَّاتها بهدف كسر ساعد الظُّلم العباسي العراقي ، والسفياني الشامي ، اللذين أعلنا الحرب على دولة خراسان من قبل .

في حين السفياني يُعلن حربَهُ على عرش العراق ، بهدف الزحف نحو إيران فيما بعد ، عندها يخرج الإيرانيُّون بقوَّة نحو العراق ، ويخوضون معارك ضارية في وجه العباسيين والعراقيين . فضلاً عن تأهيل المنطقة للمولى الحجَّة المنتظر ﷺ ، الذي يشيع ظهورهُ الكريم في تلك اللحظات التاريخيَّة .. نعم ، هناك خطوط ملتهبة ، تفرض نفسها على المنطقة ، فتخوض خراسان جملةً من حروبها ، على قاعدة الإنتصار للحقِّ والعدل الرباني .

وتحـــدِّثنا الروايـــات ، عـــن ولادة « رايـــات جهاديَّـــة » للأبـــدال ، والعـصائب والنجبـاء ، لا نـدري بالتفـصيل لحظـة هـذه الرايـات الجهاديَّـة المناضلة التي يتعـاظم دورهـا فـي آخـر الـزمن ، لكـن مِـن المقطـوع بـه أنَّ للأبدال والعصائب والنجباء حضوراً بارزاً في « نفس زمن دولـة الخراسـاني » ، وتكون راية الأبدال أوَّل راية بين الرايات الثلاث ظهوراً . ويبدو واضحاً أنَّ خيوط الإعتماد على « الخراساني » كبيرة جدّاً مِن هذه الرايات .

بتعبير آخر :

تُؤكِّد النصوص أنَّ دولة خراسان الإماميَّة ، هي رمز الدعوة والثبات على الإسلام ، وأنَّها الأمَّة التي تنادي بآل محمَّد عليهم السلام في آخر الزمن ، وأنَّها دولة إيمانيَّة لها قوَّة ، ومنعة ، وصلابة موصوفة ، وحضورٌ كبيرٌ في صناعة الأحداث مرَّةً ، وتوجيهها مرَّةً أخرى . وهي أوَّل رايات الهدى في عصر الظهور خروجاً .

تـنطلق هذه الراية المهمَّة جدّاً مِن خراسان ، أرض إيران ، فـي آخـر الزمن ، وتكون « مركـزَ قـوَّة أهـلِ الإيمـان » ، ومحـوراً إقليميَّاً كبيـراً جـدّاً . ولأهميَّتِها ، فقد بشَّر بها الرسولُ الأعظمُ صلى الله عليه وآله وسلم بمئات الأحاديث المرويَّـة مِـن طُرُقِ السنَّة والشيعة حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يخـرج قـومٌ مِـن الـشرق ، يُوطِّـئون للمهدي عليه السلام سلطانه »[1] . وكيفما التَفَتَّ فإنَّك تجد مـدحاً خاصَّـاً لأهـل هـذه الراية الخراسانيَّة . وفي بعض المتون عبَّرت عنهم بـ « كنوز الطالقان » ، وفـي

[1] (مجمع الزوائد ٣١٨/٧ ، سنن إبن ماجة ٢/ حديث ٤٠٨٨) .

حديث الإمام علي قال عليه السلام : « وإنَّ لآل محمَّد عليهم السلام لكنزاً ، سيظهره اللهُ إذا شاء ، دعاةُ حقٍّ يقومون بإذن الله ، فيدعون إلى دين الله »[1] ..

وعليه : الناتج العام في الروايات يعني أنَّ خطّ إيران ، العراق ، لبنان ، فمصر ، سيُشكِّل مهداً لقيام راياتٍ هي في غاية الأهميَّة بآخر الزمن . على أنَّ « خراسان » هي مركز الجذب والنفوذ والقوَّة والإهتمام والإستقطاب ، بل هي « الراية الكبيرة » في آخر الزمن التي تُناصِرُ الحقَّ وتثبُت عليه ، ثمَّ تظهر راية الأبدال ، وتليها رايتا العصائب والنجباء ..

وهذا يعني أنَّ هذه المناطق ، يقوم فيها مَن يُهيِّئ ويؤسِّس لولادة هذه « الرايات الإيمانيَّة » التي تتَّخذ الإسلام والعترة النبويَّة شعارها الأكبر في عالمٍ يملأهُ الظلم والفساد والجورُ والإنحرافُ .

نعم قُبيل ظهور المهدي عليه السلام ، وفي ظرفٍ يبدو أنّه مفاجئ ، تتهيَّأ جملة من الأسباب التي تكون وراء ولادة « الراية اليمنيَّة » الإماميَّة ، التي يقودها اليماني ، على أنَّ اليماني يخرج في زمن الظهور الخاص للمهدي عليه السلام ، أو أقلّ من ذلك بقليل (قياساً على الأشهر) ، بل يبدو من طائفةٍ صريحةٍ من المتون أنَّ اليماني والمهدي عليه السلام يخرجانِ في سنةٍ واحدةٍ في شهرٍ واحدٍ في يومٍ واحد ، وهذا يعني ، بضميمة النصوص ، أنَّ اليماني يخرج زمن الظهور الخاص للمهدي (هذا الظهور يدوم لأشهر) ، ويكون

[1] (شرح نهج البلاغة ٤٨/٧) .

اليماني فيه على صلة مع المهديِّ عليه السلام طيلة بناءه لجيش المهدي والتأسيس لجبهته اليمنيَّة الحجازيَّة[1] .

من هنا يمكننا فهم الوصف الذي أُطلق على الراية اليمانيَّة بأنَّها « الأهدى » ، ببساطة ، لأنَّها راية المهديِّ عجل الله فرجه ، وما اليماني إلا مُنظِّم أمرها في الظهور الخاص الذي لا يطَّلع عليه إلا قلَّة ، بل هنا يُمكننا فهم مراد الخراسانيين ، حين يخوضون معركةً جبَّارةً في وجه السفياني ثمَّ يطلبونَ المهدي عجل الله فرجه ، إشارةً إلى علمهم بظهوره الخاص ، خاصَّةً أنَّ المهديَّ عليه السلام يعطي أدواراً قياديّةً عظيمةً لأهل خراسان ، وبجيوشهم يخوض جملةً من معارك رئيسيَّة ، بل في بعض الروايات أنَّه في « ملحمة الأعماق » يبعثُ بطلب جيشهم وجيش اليماني بعد تخاذل أو خشية البعض .. ومع التحام الخراسانيين واليماني تحت ظلِّ المهديِّ عليه السلام ، تبدأ مرحلة مختلفة جداً في عالم آخر الزمان .

---

[1] للوقوف على هذا الموضوع بالتفصيل ، يمكن مراجعة كتابنا : نهاية أحداث التاريخ البشري : بقيَّةُ الله الأعظم عجل الله فرجه .

موقع رايات أهل الإيمان في آخر الزمان

عن « خريطة الرايات » التي ترفع شعار الإسلام الشريف والعترة النبويَّة آنذاك ..؟ تحدِّثُنا الروايات عن :

١. راية الأبدال الشاميين الإماميين ، التي يكون « مركز نفوذها » في ناحيةٍ مِن بلاد الشام : [لبنان ونواحي بيت المقدس] .

٢. راية العصائب العراقيين الإماميين ، ويكون مركز نفوذها في العراق .

٣. راية النجباء المصريين الإماميين ، ويكون مركز نفوذها في مصر .

وتخصُّ النصوص « دولة خراسان » الإماميَّة ، بوصفٍ عملاقٍ ، يُشَكِّل « مركز القُطْب » بالنسبة إلى هذه الرايات الإيمانيَّة . ثمَّ تشير إلى مركزٍ كبيرٍ أيضاً ، قبيل ظهور المهدي عليه السلام بأشهر وهي « راية اليماني » التي يبدو مِن النصوص أنَّها تتشكَّل ضمن تحوُّلات سريعة جدّاً .

ويكون « اليماني » على صلةٍ مهمَّة بظهور المهديِّ الخاص الذي يدوم لأشهر ، بل يستفاد من النصوص أنَّ هذه الراية تكون تابعةً بشكلٍ غير

مباشر للمهدي عليه السلام ، الذي يتنقَّل في « الظهور الخاص » بين المدينة ومكَّة .

وفي بعض المتون النبويَّة تمَّ التعبير عن أنصار المهدي من أهل اليمن بـ« الكنوز » ، يقول صلى الله عليه وآله : « .. لله في اليمن كنزان ، جاء بأحدهما يوم تبوك .. ويجيئ بالآخر يوم الملحمة العظمى[1] »[2] (أي في أعنف حرب بين المهدي عليه السلام وجبهة الروم) .

لكنَّ الحديث هنا يدور حول « ساعات الظهور » ، فاليماني ، والسفياني ، والمهدي عليه السلام ، يظهرون بوقتٍ زمنيٍّ واحد ، في نفس السنة ، ونفس الشهر .

إلا أنَّ المهدي عليه السلام في تلك الفترة ، يكون في طور « ظهوره الخاص » ، أي الظهور غير المُعلَن إلا للخواص ، والذي يدوم لأشهر ، ربَّما تصل إلى ١١ شهراً .

أمَّا قبل هذا الظهور ..؟ فالرايات تتوزَّع بين المركز الأساس وهو « راية خراسان » ، والرايات الثلاث : الأبدال الشاميين ، والعصائب العراقيين ، والنجباء المصريين .

وكما ترى ، هذه الرايات الثلاث تكون في أرض العرب ، وهي ذات نهجٍ عقائديٍّ إماميٍّ واحد ، وذات صلة رئيسيَّة وتامَّة بالخراساني

---

[1] وهي الملحمة التي يقودها المهدي عليه السلام ضد الروم في هذه المعركة .

[2] (عقد الدرر ٢١٥) .

الموطِّئ للمهديِّ سلطانه . مثلاً : هناك رواية تشير بشدَّة إلى الترابط والوحدة بين الأبدال وأهل خراسان ، قال النبي ﷺ : « لا تزال طائفة مِن أُمَّتي يقاتلون على أبواب « بيت المقدس » وما حولها ، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ، ظاهرينَ على الحق ، لا يبالون مَن خذلهم ، ولا مَن نصرهم ، حتى يُخرِجَ اللهُ كنزه مِن الطالقان ، فيُحيي اللهُ به دينه كما أُميت من قبل »[1] ..

لاحِظ ، حربُهم واحدة ، وإنْ اختلف العدوُّ أو جهتُهُ ، كلٌّ في حربٍ وصلةٍ تامَّة وحلفٍ كامل . ثمَّ قيمةُ هذا النصِّ أنَّه يُحدِّد « مركز الأبدال » كما في طائفةٍ متنوِّعةٍ مِن النصوص ، في قسمٍ خاص من أرض الشام ، أي في بيت المقدس ، وكما في مضمون تفصيلي هام جدَّاً للإمام الصادق عليه السلام جبهتُهم تكون في جبل عامل [أي مركزهم لبنان] .. وأنَّه يكون لهم نفوذٌ واضحٌ في فلسطين أو بعض نواحيها . وأنَّهم ، تماماً ، كما أهل خراسان والطالقان : يخوضون حرباً على الحقِّ . وتعبير : « لا تزال » ، يعني أنَّ خطَّ المواجهة والثبات والتضحية والمنعة والصَّبر والعظمة كبير وطويل .

ومهما قرأنا متوناً روائيَّةً ، فإنَّنا نجدُ التحاماً تامَّا بين راية الأبدال والعصائب والنجباء ، وبين راية خراسان . من أمثلتها الحرب التي يخوضها الخراسانيُّون في وجه السفياني بالإشتراك مع العصائب العراقيين ، وذلك بعد غزو السفياني لشيعة العراق وقيامِه بالتنكيل بهم ، فضلاً عن أخذِه سبايا الشيعة ، فيتبعه جيش أهل خراسان الذي يخوض معه معركةً قاسيةً ، تنتهي

[1] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥٠٥٥) .

بهزيمته وكسر طغيانه وتخليص السبايا الشيعة من يديه . وفي خصوص راية الأبدال ، نقرأ بعض الحروب المشتركة والمهمَّة . بعض النصوص تذكرُ هذه « الصلة الكبيرة » بين كنوز الطالقان الخراسانيين ، وأبدال الشام الإماميين ، في معركة تحرير « بيت المقدس » تحت قيادة واحدة . ففي الحديث النبوي قال :

« تخرج رايةٌ سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء (راية أهل خراسان الإماميَّة) : قلانسُهُم سود ، وثيابُهم بيض ، على مقدَّمهم رجلٌ يُقال له « شعيب بن صالح » من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس ، يُوطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانَه ، يُمَدُّ إليه ثلاثمائة من أهل الشام[1] » (أي من الأبدال الذين يكونون في جبهة جبل عامل وأكناف بيت المقدس)[2] ..

قيمة هذا النصّ أنَّه يدلُّ على نوعٍ من تحالفٍ تام بين الأبدال والخراساني . ثمَّ في رواية أخرى يقول : « إنَّ شعيب بن صالح يخرج متخفِّياً إلى بيت المقدس ، مُوَطِّئاً للمهدي سلطانه »[3] . ما يعني أنَّه يستعين بـ « الأبدال » المرابطين عند أكناف بيت المقدس من ناحية أرض الشام

---

[1] يعني الإستعانة بثلاثمائة من أهل الشام ، الإشارة إلى فرق قليلة ، أو راية صغيرة أمام راية خراسان ، هذه الفرقة يكون لها دور وظيفي آخر في الداخل الفلسطيني . وتكون على حلفٍ كاملٍ مع الخراساني الموطِّئ للمهديِّ سلطانه .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٧/٢ الفتاوي الحديثيّة ٤٢) .

[3] (عقد الدرر ١٢٨ – الحاوي للفتاوي ٧٠/٢) .

العامليَّة ، حيث تتمركز جبهتُهُم في جبل عامل من لبنـان . وهـذا واضـح فـي النص السابق بشكلٍ كامل .

إنَّ هذا يعني « الوحدة التامَّة » بين هـاتين الـرايتين الإمـاميَّتين ، زمـن الظهور الشريف .

وعليه :

مَن يتتبَّع النصوص العديدة ، يجد وصفاً ترابطيَّـاً كبيـراً بـين الرايـات الثلاث الإماميَّة ، وبين « دولة خراسان » التي تشكِّل مركز القُطب[1] ..

---

[1] وهذا ما سنشير إليهِ في كتابٍ آخر حول دور الراية الخراسانيّة في آخر الزمن .

أوصاف الأبدال :

لأنَّ أصل بحثي هذا يناقش موضوع الأبدال ، كان من الطبيعي أن يتمَّ التركيز على بعض التفاصيل الخاصَّة بالأبدال . وعليه : في السابق أشرتُ إلى جملة مهمَّة مِن أوصافهم ، وَرَدَت في النصوص . وهنا أشير إلى جملةٍ أخرى مفادها - حسب المتون الروائيَّة - أنَّهم جماعة شديدو الإصرار على النهوض بأمر الله ، يغضبون في ذات الله ، يقاومون الظُّلم ، خاصَّة اليهود ، لا يخشون وقعة حرب ولا قوَّة رُعب ، ولا تأخذهم في الله لومةُ لائم .

ورغم الجُهد الذي يُصيبهم - في زَمَنٍ كبرياتُ القوَى فيه تَكُونُ مِن أهلِ الظَّلاَمِ والفساد والإنحراف والجور والطغيان - فإنَّهم يثبتون على الحقِّ ، كما يتحقَّق لهم النصرُ في أكثر من وقعةٍ ومعركةٍ وحرب ، وتظلُّ رايتُهم ثابتةً عزيزةً ، حتى يخرجَ المهديُّ المنتظر ﷺ ، فيُصَلُّون خلفه في المسجد الأقصى ، مع نبي الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

واللافت جدّاً ، وصفُهُم في النصوص بميزة « القتال على الحقّ » وبيان جملة من معاركهم ، ما يعني أنَّهم يتعرَّضون لحروبٍ وقتال ومعارك ، يبدو أنَّ لها خطاً زمنيّاً طويلاً .. ففي الرواية عن النبيِّ ﷺ قال : « لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي ، يُقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب

الطالقان وما حولها ، ظاهرينَ على الحق ، لا يبالون مَن خذلَهُم ، ولا مَن نصرهم ، حتى يُخرِجَ اللهُ كنزَهُ من الطالقان ، فيُحيي اللهُ به دينَهُ ، كما أُميتَ من قبل »[1] . إذاً مسارُ المعارك تحت تعبير لا تزال يعني طولَ المدَّة ، بل صفةً مُزمِنَةً ، بل رمزاً لافتاً في نضال هذه الجماعة العظيمة ..

وفي صفة شديدة الأهميَّة ، يُؤكِّد النبيُّ ﷺ أنَّهم « يُقاتلون على الحقِّ ، وأنَّهم لا يُبَالُون مَن خالفهم ، ولا يضرُّهم مَن خذلهم » . ليؤكِّد ﷺ أنَّهم أهلُ حقٍّ وإيمان عظيم ، وأنَّ هناك مَن يُخَالفهم ، ويمتنِعُ عن نصرتهم بل يخذلهم ، وهناك مَن يُقاتلُهَم ، فلا يجبُنُون أو يضعفون ، بل يخوضون حروبهم ، ويثبتون بقوَّةٍ وفلاح ، على أنَّ الفاظ النصِّ وكأنَّها تشير إلى أنَّ هناك مَن يغدرُ بهم ، حيث قد يستفاد ذلك من تعبير « خالفهم » ، لكن الأكيد أنَّ هناك مَن يخذلهم ، بدليل النص . ومع ذلك يُقاتلون على الحقِّ ، ولا يُبَالون بمَن خالفهم ، ولا يُضَرُّون بمَن خذلهم ، ثمَّ ينتصرون ..

هذا بِنَاءٌ مهمٌ جداً لشريط للمعلومات ، خاصَّةً لبيان هويَّة هذا الحدث .. على أنَّ أكثر مِن مَتنٍ روائي يُؤكِّد ثباتهم وانتصارهم وظهورهم وعظيم إيمانِهم . ففي وصفٍ تفصيليٍّ آخر قال النبيُّ ﷺ بحقِّهم : « أنَّهم ظاهرون على مَن ناوأهم ، قاهرين لعدوِّهم »[2] ، تأكيداً منه ﷺ : لخطِّ الثبات ، والتضحيات ، والمنعة ، والإنتصار والظهور في جانب هذه الراية

---

[1] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥٠٥٥) .

[2] مسلم : ج٣ ص ١٥٢٥ ١٥٢٤ ب٥٣ ح ١٩٢٤

الإماميَّة ، حتى ظهور القائم المهديِّ عليه السلام . هذا يعني أنَّهم رغم الجُهد والعناء الذي يُصيبهم فإنَّهم يُسَجِّلون انتصاراتٍ مهمَّة ، وثباتٍ كبيرٍ في مواجهة أعدائهم كما في متن أكثر من رواية .

حتى أنَّهُ إذا ظهر السفياني اجتاح « بلاد الشام » وقتل وأبادَ وسيطَرَ بشكلٍ ضخم على الكور الخمس ، إلا « منطقة الأبدال » الذين يصمُدُون بقوَّة وصلابة ، فيقاتلون السفياني ، ويحمُونَ جبهتهم ، ويقودون حركة سياسيَّة جهاديَّة ، بل دولةً تعمل على إضعاف السفياني الطاغي ، ونصرة المهدي عليه السلام والتأسيس له . وفي الرواية : « فينقاد له – أي للسفياني – أهل الشام إلا طوائف مِن المقيمين على الحق ، يعصمهم الله من الخروج معه »[1] ، وذلك بما يملكون مِن مقوِّمات القوَّة والصمود والثبات وأشكال أخرى ، في وجه الصفوف العاتية الضخمة التي يقودها السفياني ..

وكما ترى : فقَد وصَفَهُم النبيُّ وأهلُ بيته عليهم السلام بصفات لافتة جداً ، وكرَّرت النصوص وصفهم ومدحهم[2] .

---

[1] (البحار ٢٥٢/٥٢) .

[2] حتى لمَّا ذَكَرَ جماعةٌ أهلَ الشام عند الإمام علي عليه السلام فقالوا : إلعنهم يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : لا – ليشير إلى ما يكون في آخر الزمن مِن أبدال الشام الإماميين – فقال : إني سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجلٌ أبدل اللهُ مكانَهُ رجلاً ، يسقي بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » (مسند أحمد ١١٢/١) . وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله – وهو يعدِّد دعائم أمَّته : « .. وأربعون رجلاً من الأبدال بالشام كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه ، أما أنَّهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكنّه بسخاوة الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصيحة للمسلمين » (الفردوس للديلمي ٢٢١/٢) . وفي رواية أخرى وصفهم بأنهم : « ليسوا بالمتماوتين ، ولا

وعليه :

هُم – حسب النصوص – أصحاب مشروع ديني أخلاقي سياسي ، يعملون على تطبيقه ، فيبذلون في سبيل ذلك تضحيات عظيمة ، وهم فوق ذلك : آمرون بالمعروف ، ناهون عن المنكر ، أعداء أشدَّاء على الكفَّار المعتدين ، رحماءُ بينهم ، ينتصرون للحقِّ ، يُواجهون الظَّلَمَة خاصَّة اليهود المغتصبين لبيت المقدس ، وأنَّهم « كنزُ الله » في بلاد الشام .

لتُؤكِّد الأحاديث مجدَّداً أنَّ الأبدال جماعةٌ معرفونَ في السماء ، مجهولون في الأرض . لهم حضورٌ مميَّز زمن الغيبة ، وأنَّ هذا الحضور يستمرُّ حتى الظهور الشريف . لكن لا ندري بالتفصيل زمن حضورهم الأوَّل كجبهة سياسيَّة عسكريَّة ، نعم يتنامى حضورهم الكبير بعد « فتنة الشام الخاصَّة » ، وأنَّ عددهم – كقادة – أربعون شخصاً ، لكنَّ جماعتهم وأتباعهم كبيرة بإذن الله تعالى[1]..

المتهالكين ، والمتناوشين ، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة ، وإنّما بلغوا ذلك بالسخاء وصحّة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين » (كنز العمال ١٢/حديث ٣٤٦٠٦) وفي رواية المُعجَم الكبير عن الإمام علي ﷺ : « لا تسبّوا أهل الشام .. فإنَّ فيهم الأبدال بهم تُنصرون وبهم تُرزَقون » (المعجم الكبير للطبراني ٦٥/١٨) وفي رواية مجمع الزوائد عن النبي ﷺ : « .. والبدلاء بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلمات مات رجلٌ من رجلٌ أبدل اللهُ مكانه ، ويستسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » (مجمع الزوائد ٦٣/١٠ قال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) .

[1] اختلفت الروايات في تحديد عدد الأبدال والنجباء والعصائب . والأصحّ – بسبب تعدُّد الطرق واعتبار بعضها – أنّ عدد أبدال الشام : أربعون رجلاً ، ونجباء مصر : ثلاثون رجلاً ، وعصائب العراق : خمسون رجلاً . ومع هذه الرايات ، سيكون لمصر ولبنان والعراق دور مهمّ للغاية في أحداث عصر الظهور . ويبدو وبوضوح أنّ الأبدال يكونون خصماً متعاظماً في بلادهم بوجه اليهود والروم وحلفائهم . كما أنّ النجباء المصريين يلعبون دوراً رائداً

مقاومة الأبدال لليهود :

دلَّتنا طائفةٌ مِن النصوص على أنَّ « بيت المقدس » يكون في آخر الزمن تحت نير احتلالٍ وعدوان ، وحين تبدأ راياتُ خراسان معارك تحريره المباركة ، تقومُ الرومُ (القوى الغربيَّة) وبعض قوى عالميَّة وإقليميَّة ، لحماية محتلِّيه - بأكثر مِن شكل - بوجه أهل خراسان ، لكنَّها تفشل في صدِّ المدِّ الخراساني الذي يُشارك فيه الأبدال المتحالفين مع أهل خراسان - بدليل النصّ - حتى تُنصَب راياتُ خراسان في إيلياء ، أي في القدس .

كما دلَّتنا طائفةٌ أخرى على أنَّ لليهود في آخر الزمان جبهةً جائرةً ظالمةً ، وأنَّهم يُفسدون في الأرض ، ويعلون علوّاً كبيراً ، ويقوم لهم كيانٌ ظالمٌ مُفسدٍ ، في بعض نواحي بلادِ العرب ، يكون معادياً لأهلِ الإسلام .

بل في بعض المتون الروائيّة ، إيضاحٌ شديدٌ لقيامِ كيانِهم العدواني في « فلسطين » ، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال لأصحابه :

في خلع الحاكم المصري ، ثمَّ في قتال الروم الذين يغزون مصر ، ثمَّ قتال الراية المغربيَّة التي تُنجد الروم في مصر ، ثمَّ الراية السفيانيَّة التي تقوم بدعمٍ من الروم . فيما العصائب العراقيُّون ، يشكِّلون قوَّةً يتعاظم أمرها ما قبل الظهور ، لكنَّها تتعرَّض لحربٍ دمويَّةٍ هائلة من قبل السفياني وجملة مِن حلفاءه كالروم . وتكون هذه الرايات الثلاث على حلفٍ كاملٍ مع الخراساني الذي يُوطِّئ للمهديِّ سلطانه . ويبدو من جملة الروايات أنَّ راية الأبدال تعتبر من أكثر الرايات ثباتاً وصموداً لأسبابٍ مختلفة ، خاصَّةً أنَّها تكون أوَّل الرايات الثلاث ظهوراً .

[هل سمعتُهم بمدينةٍ ، جانبٌ منها في البحر ؟ قالوا : نعم ، قال ﷺ : لا تقوم الساعةُ حتى يغزوها ، سبعون ألفاً من بني إسحاق »[1] .. إشارة إلى مدينة عكّا ، وغزو اليهود لها ، ودلالةً على غزوهم وحروبهم وغصبهم لفلسطين . لتؤكّد فيما بعد أنَّ موعدَ انهيارهم الأخير يكون على يد المهدي عليه السلام ، فيما يكون انهيارهم الجزئيُّ قبل ذلك على يد الخراسانيين أصحاب الرايات السود ، في حين تقوم « راية فرعيَّة » موالية لأهل البيت عليهم السلام ، أيضاً في آخر الزمن تكون معاديةً لليهود الغاصبين ، فتقاتلهم ، وتعاديهم ، وتثبت ثباتاً عظيماً ، ويكون مركز نفوذها في ساحةٍ تتَّسع مِن لبنان إلى مشارف بيت المقدس . فهؤلاءِ الأخيرُون هم الأبدال الذين يتحالفون بالمطلق مع سيِّد خراسان صاحب الرايات السود . وقد أشرنا إلى طوائف شديدة الوضوح في ذلك ..

وعن قهر اليهود الأخير بيدِ المهديِّ عليه السلام ؟ قال الإمام علي : « لأبنينَّ بمصر منبراً ، ولأنقضنَّ دمشقَ حجراً حجراً ، ولأخرجنَّ اليهودَ مِن كلِّ كُوَر العرب (..!) ولأسوقنَّ العربَ بعصايا هذه . فقال عباية الأسدي : يا أمير المؤمنين ، كأنَّك تُخبِرُ أنَّك تحيا بعدما تموت ؟ فقال عليه السلام : هيهات يا عباية ، ذهبتَ غيرَ مذهب . يفعلهُ رجلٌ مِنّي »[2] . أي المهديُّ عليه السلام الذي يفتح

---

[1] المستدرك ج : ٤ ، ص : ٤٧٦

[2] بحار الأنوار ، ج : ٥٣ ، ص : ٦٠ .

كيانهم الظالم ، الذي يكون في إحدى نواحي بلاد العرب ، بل الحديثُ السابقُ عن النبيِّ ﷺ واضحٌ تمامَ الوضوحِ بأنَّ كيانهم يكونُ في فلسطين .

على أنَّ هؤلاءِ اليهود الظَّلَمَة يشتهرون مِن قَبْل ذلك بعدائهم الشديد لأهل الإسلام بل يُقَاتِلُونَهم ويتربَّصون بهم . إلى أن ينهار كيانُهم الكامل على يدِ المهديِّ عليه السلام . وفي النصِّ الشهير عن النبيِّ ﷺ : « يقاتلكم اليهودُ ، فَتَسلَّطون عليهم »[1] . أي سياستُهم اتجاه أهل الإسلام تتَّسم بحربيَّتها وعداءها المثير ، إلى أن ينتهي علوُّهم بذلٍّ جزئيٍّ على يدِ أصحاب الرايات السود الخراسانيين ، ثمَّ تكون نهاية كيانهم على يدِ الإمام المهدي عليه السلام .

والمثير أنَّ بعض الأنظمة الإقليميَّة ، تتحالف مع اليهود الذين يُعلنون عداءهم الشديد للإسلام والمسلمين ، وذلك واضحٌ جداً في مضمون جملة مِن النصوص ، وكلُّ ذلك يجري في ظلِّ هرمٍ فاسدٍ تقودُهُ « الروم » التي تشهر أهدافَهَا وتُقيم سياستِهَا الكبيرة على نحوٍ من عداءٍ فظيعٍ للإسلام والمسلمين في آخر الزمان .

من هنا أكَّدت طائفة صريحة مِن النصوص أنَّ هناك أمراء ووزراء مِن بلاد أهل الإسلام ، ينحرفون انحرافاً هائلاً ، وأنَّ بعضهم يصبحُ مجرَّد تابعٍ للروم ، وحلفاءها - كاليهود - من أهل الجبروت والطغيان والفساد . وأنَّ هؤلاءِ الأمراء يُفسِدُون ، ويفسُقُون ، ويُبَدِّلون . فقد روى « ابن عمر » أنَّ

---

[1] م . س .

النبيَّ ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كَذَبَة ، ووزراء فَجَرَة ، وأمناء خَوَنَة ، وقراء فَسَقَة ، سمتهم[1] سمت الرهبان ، وليس لهم رعية[2] ، فليُلبسُهُم اللهُ فتنةً غبراء مظلمة يتهوَّكون (أي يتهوَّرون) فيها تهوُّكَ اليهود في الظلم »[3] . كما تذكر المتون أيضاً أنَّ اليهود يُفسدون في الأرض ، ويكون لهم علوٌّ في الظُّلم والفساد والإضطهاد وعداوة أهل الإسلام .

وبِبُعدِ النَّظر عَن هزيمتِهم الأولى والثانية ، فإنَّ الروايات أكَّدت أنَّهم يُهزَمُون بشدَّة في آخر الزمن على يدِ الخراسانيين ، وأنَّ أهل خراسان ينصُبُون راياتِهم في بيت المقدس . ففي الرواية :

« تخرج رايةٌ مِن خراسان ، لا يردُّها شيئ ، حتى تُنصب بإيلياء »[4] أي بيت المقدس . ما يعني أنَّ القدس تُشَكِّل جزءاً مهمَّاً مِن هويَّة « الصراع الكبير » الذي يكون بين الخراسانيين واليهود في آخر الزمن .

واللافت جدَّاً أنّ « الأبدال » يُشاركون في هذه المعركة الرئيسيَّة - كما ذَكَرَت الروايات التي سقتُها سابقاً - كما يُشَكِّلون حزام جبهة

---

[1] أي علامتهم الظاهريَّة .

[2] (أو قال رعة)

[3] البزار : على ما في كشف الهيثمي ، ومجمع الزوائد . * : أمالي الشجري : ج ٢ ص ٢٥٧

[4] وفي متن آخر : تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيئ حتى تنصب بإيلياء . (صحيح الترمذي ٤/ ح : ٢٢٦٩) . وفي رواية : [فلا يلقاهم أحد إلا هزموه وغلبوا على ما في أيديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس] (ابراز الوهم المكنون /١٠١) .

مناهضة لليهود بشكلٍ قويٍ وثابتٍ قبل الزحف الخراساني نحو بيت المقدس . وفي الرواية عن النبي ﷺ :

« لا تزال عصابةٌ من أُمَّتي ، يُقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرُّهم خذلانُ مَن خذلهم ، ظاهرين على الحقِّ ، إلى أن تقوم الساعة »[1] ..

إذاً ، هذه الفرقة من « أهل الجهاد » تكون ناحية بيت المقدس ، ولها نفوذ واضح من لبنان إلى فلسطين ، بأشكالٍ مختلفة ، بل يكون لبنان مركزها ومهد رايتها ، بدليلِ نصِّ الإمام الصادق عليه السلام الذي أورده إبن بابويه ونقلهُ الشهيد الأوّل والحرّ العاملي .

ويبدو أنَّ خطَّ « المواجهة » بعض الأحيان ، يصلُ إلى ذورته ، بل النصوص تُؤكِّد أنَّ نواحي القدس تُصبحُ ميداناً لافتاً لمناهضة اليهود ، وأنَّ أكناف (ناحية) بيت المقدس تُشكِّل علامةً مهمَّةً على الخطِّ الجهادي الممتدِّ من خراسان ، وصولاً إلى لبنان و« فلسطين » ..

لاحظ :

النصوصُ العديدةُ تتحدَّث عن « خطِّ المواجهة الكبير » بين اليهود الغاصبين ، والخراسانيين الإماميين الذين يُصرُّون على تحرير بيت المقدس ، فَيَبنُون خطَّ مواجهةٍ كبير ، يصل إلى حدود بيت المقدس ، بل يزحفون إليه

---

[1] (مجمع الزوائد ١٠/٦٠ وقال : رجاله ثقات) .

في لحظة تاريخيَّةٍ حاسمة ، ويخوضونَ جملةً مِن حروب « رهيبة » حتى يحرِّروا بيتَ المقدس ، ويكون للإبدال « مشاركة فعليَّة » ، بل تتحوَّل جهتُهم ناحيةَ فلسطين إلى جبهة حرب .

إذاً ، النصوص تُركِّز على مناهضة ، مقاومة ، واستعداد ، وجبهة ، ونفوذ متزايد في وجه الغاصبين لبيت المقدس ، إلى درجة أنَّ ذلك النفوذ يصل إلى حدود فلسطين ونواحيها ، بل إلى بيت المقدس . النبي ﷺ يقول :

« لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي على الدِّين ، ظاهرين لعدوِّهم ، لا يضرُّهم مَن جابههم .. حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك . قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟ قال ﷺ : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس »[1] .

على أنَّ هذه « المواجهة الهائلة » بين الخراسانيين ، واليهود وحلفاءهم ، تستدعي دعم راياتٍ جهاديَّة إيمانيَّة في وجه الغاصبين لبيت المقدس ، وفي الرواية السابقة تصريحٌ كامل بهذا النمط من التكامل بين الأبدال والخراسانيين ، هؤلاءِ على جبهتهم أوَّل الأمر ، وهؤلاءِ على جبهتهم أوَّل الأمر ، يقول ﷺ :

« لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ، ظاهرين على الحق ، لا يبالون مَن خذلهم ، ولا مَن نصرهم ،

[1] (مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ وقال : رجاله ثقات) .

حتى يُخرِجَ اللهُ كنزه مِن الطالقان ، فيُحيي اللهُ به دينَهُ كما أُميتَ مِن قبل »[1].

ثمَّ في لحظةٍ كبرى - ببعد النَّظَر عن خريطة الزمان - يتمُّ الإعلانُ عن الزحف الخراساني اتِّجاه بيت المقدس ، فينتهي بانتصارٍ هائل ، بعد معارك فظيعة . النصُّ يقول :

« تخرج مِن خراسان راياتٌ سود ، فلا يردّها شيئ حتى تنصب بإيلياء (أي القدس) »[2].

وقال في رواية أخرى :

« .. لا يلقاهم أحدٌ إلا هزموه ، وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب راياتهم بيت المقدس »[3]..

كلُّ ذلك ، يكون وفقَ خَطٍّ كُبرَوِيٍّ ، يصرُّ على الإنتصار للإسلام ، والتوطئة لسلطان الزمان : المهدي المنتظر ﷺ . النصُّ يقول :

« يخرج قومٌ مِن الشرق ، يُوطِّئون للمهديِّ سلطَانَهُ »[4].

---

[1] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥٠٥٥) .

[2] (صحيح الترمذي ٤/ ح : ٢٢٦٩) .

[3] (ابراز الوهم المكنون /١٠١) .

[4] (مجمع الزوائد ٣١٨/٧ ، سنن إبن ماجة ٢/ حديث ٤٠٨٨) .

وعليه :

أهميَّة كُلِّ هذا الإستعراض أنَّ « الأبدال » من ناحية بلاد الشام ، في لبنان ، وما يليه نحو فلسطين ، يُشكّلون راية « جهاديَّة » ذات أهميَّة بالغة ، فيثبُون في وجه اليهود الغاصبين ، ولا يزالون يُقاتلون على الحقِّ ، بل في الرواية السابقة ، قَرَنَ النبيُّ ﷺ بين جهادهم من جهة ، وجهاد الطالقانيين الخراسانيين من جهة أخرى ، كلاهما يُقاتل على الحقِّ ، وعبَّر عن ذلك بقوله : لا يزال .. (إشارة إلى إستمراريَّة لافتة في حماية الحق ..) ..

الأهم أنَّ النبيَّ ﷺ يُؤكّد ثبات ، ومنعة ، وعزم هذه الراية التي تظلُّ ثابتةً متناميةً حتى ظهور المهدي عليه السلام ، حيث يُصلُّون خلفهُ في القدس أي في الفتح الثاني بعد الفتح الخراساني للقدس . يقول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أُمَّتي ، تُقاتل على الحق ، حتى ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام ، عند طلوع الفجر ، في بيت المقدس ، ينزلُ على المهديِّ ، فيقول عليه السلام : تقدَّم يا نبيَّ الله ، فَصَلِّ بنا . فيقول عليه السلام : هذه الأمَّةُ ، أُمراءٌ بعضُهُم على بعض »[1] .

إذاً الأبدالُ الذين يُشاركون الخراسانيَّ في زحفه ، ويُحوِّلونَ جبهتهم إلى حربٍ مستمرَّةٍ مع الغاصبين اليهود ، يظلُّون على منعتهم وثباتهم وقوَّتهم حتى ظهور المهدي عليه السلام . ومن المهمّ جدّاً أنْ نلتفت إلى هذه الصفة فيهم

[1] (الحاوي للفتاوي ٨٣/٧ . عقد الدرر /٢٢٠ — صحيح مسلم ١٧٣/١ لكنه لم يذكر لفظ المهدي عليه السلام وإنما قال : فيقول إمامهم ..) .

أي صفة « المناهضين » التي تعني إعلانَ العداء الفعلي والجبهوي في وجه الغاصب اليهودي . لسان النصوص بارزٌ جداً في مثل هذه المعاني .

ثمَّ ما ورد أعلاهُ ، يُؤكِّد خريطةً لافتة جداً ، لخطوط الأحداث الشرق أوسطيَّة آنذاك ، التي يبدو أنَّها تُشكِّل حزاماً استراتيجيّاً من أرض خراسان إلى بيت المقدس . فيما « الأبدال » يُشكِّلون « مركز نفوذ » مهمٍّ جداً في لبنان ، ناحية بيت المقدس ، أي في أكنافه ، بل يكون لهذا الخطِّ الجهاديِّ نفوذٌ إلى الداخل الفلسطيني ، لحدود أبواب بيت المقدس .. النصوص صريحة في هذه المعاني ..

بداية تنامي جبهة أبدال الشام
[فتنة الشام الخاصّة]

قلنا فيما سبق : الأبدال عبادُ الله المقرَّبون ، لهم ميزة خاصَّة ، كما لهم خطٌّ جهاديٌّ عظيم ، لهم صلةٌ ولائيّةٌ وعقائديَّة مع الراية الخراسانيَّة الإماميَّة . أخفى الله تعالى أمرهم ، لجهة أنّهم أبدال ، لكنَّهم في واقع الحال ، كما دلَّتنا النصوص ، هم أوتاد الأرض ، حضورهم يكون في ناحيةٍ من بلاد الشام ، زمن الغيبة ، وكلما مات رجلٌ منهم أبدله اللهُ برجلٍ آخر ، يتمتَّع بنفس صفات الأبدال ، إلى أن يأذن اللهُ بظهور المهدي ﷺ . ويبدو أنَّ تعاظُم أمرهم يتنامى في أعقاب « فتنة داخليَّة » تضرب بلاد الشام ، وتدوم هذه الفتنة ١٨ سنة .

هذه الفتنة عبَّرت عنها طائفة من النصوص بـ« فتنة الأحزاب » ، ويبدو أنَّها سُمِّيت كذلك ، بسبب « كثرة الرايات » التي تشترك فيها ، وتتقاتل على الباطل والآثام ، فضلاً عن توسُّع الحرب فيها من الجيوش النظاميَّة إلى الفرق السياسيَّة والأحزاب والطوائف ، ما يُؤدِّي إلى انهيار « جسيم » في السِّلم الأهلي ونظام البلاد الآمن .

على أنَّ الفِتَن التي تقع في « العالم الإسلامي » كثيرةٌ ، من بينها فِتَن هائلة ، في حين بعضُها يكون على أهميَّة بالغة في سلسلة الأحداث القريبة

مِن عصر الظهور . ومِن تلك الفتن فتنةٌ خاصَّة تقع ببلاد الشام قبل ظهور السفياني الطاغي ، وهي فتنة غير الفتنة الغربية والشرقية العامَّة التي تقع على المسلمين . وأبرز ما في فتنة بلاد الشام أنها عبارة عن « صراعات داخلية » شديدة ودمويَّة ، وانقسامات على الحكم والسلطة والنفوذ والإعتبارات ، وربَّما فيها نَفَسٌ مِن تبعيَّاتٍ ولائيَّة للشرق والغرب ، في ظلِّ نفوذٍ بارزٍ من الروم وحلفاءها ..

تؤكِّد النصوص أنَّ هذه الفتنة تقع في منطقة الشام ، وأنَّها فتنة أفرقاء مختلفين ، يلجؤون إلى السلاح والقتال ، ويبدو مِن إشارة بعض النصوص إلى « ضيق الكفَّار » فيها ، أنَّ فِرَق هذه الفتنة لهم امدادات دعم مِن خارج بلاد الشام من الكفرة والأعداء ، كما مِن داخلها . وعلى الأثر : تقع حروب طاحنة ، تؤدِّي إلى إنهاكٍ شديدٍ في قوَّة أهل بلاد الشام ، ومعها لا يقدرون على حكم أنفسهم أو السيطرة على زمام الأمر .

وتُعتبر هذه الفتنة الدنيويَّة نتيجةً لأزماتٍ متنوِّعة ، في حين تساعد جدّاً على هشاشةٍ مثيرة في هذه المنطقة ، على أنَّ أرض العرب – بالأخص : خريطة الحجاز وصولاً إلى العراق وبلاد الشام[1] – تكون على نحوٍ من

---

[1] عن أرطاة ، عن تبيع ، عن كعب قال – ولم يسنده إلى النبي – : « يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم ، فيقتتلون على الاموال ، فيُقتَل مِن كلِّ تسعةٍ سبعة ، وذالك بعد الهدَّة والواهية في شهر رمضان ، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه ، فيهم رجل اسمه عبد الله » [ابن حماد : صـ ٩٢ ❊ عقد الدرر : صـ ٥٨ بـ ٤ ف ١ عن ابن حماد وفيه « يكون بناحية الفرات في فتنة الشام . من شهر رمضان .. »] .

هشاشة وضغط مختلف من القوى العالميَّة مرَّةً (الروم وحلفاءها) ، ومن النزاعات الداخليَّة مرَّةً أخرى ..

وفي ظلِّ هذه « النكبات الفظيعة » تقع فتنة الشام الخاصَّة ، التي سمَّاها الإمام علي عليه السلام بـ: فتنة « اختلاف الاحزاب » ، وذلك في معرض جوابه عن « فتنة الأحزاب » المذكورة في القرآن الكريم . فقد سُئل الإمام علي عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧/١٩﴾ ؟ فقال عليه السلام :

« إنتظروا الفرجَ من ثلاثٍ ،

فقيل : يا أمير المؤمنين ، وما هُنَّ ؟

فقال عليه السلام :

اختلافُ أهلِ الشام فيما بينهم .

والراياتُ السُّود من خراسان .

والفزعةُ في شهر رمضان .

فقيل : وما الفزعةُ في شهر رمضان ؟

فقال عليه السلام : أوَمَا سمعتُم قول الله عزَّ وجلَّ في القرآن ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً ، فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ : آية تخرُّ الفتاةُ مِن خدرها ، وتُوقِظُ النائم ، وتُفزِعُ اليقظان »[1] .

---

[1] البحار ج ٥٢ ص ٢٢٩

إذاً هذه « الفتنة الخاصَّة » تقع في خطّ « تقاطع الأزمات » وتوالي الفتن .. واللافت أنَّ الإمام علي عليه السلام لم يُحدِّد المدة الفاصلة بين بداية اختلاف أهل الشام وزحف الرايات السود ، وصيحة شهر رمضان . لكنَّه وضعها على خطّ « التقاطع الساخن للأحداث المتتالية الهائلة » التي تقع في هذه الناحية ، وتكون مِن علامات الظهور الشريف . خاصّةً إذا علمنا أنَّ النداء السماوي ، أو الفزعة ، أو الصيحة ، تكون في سنة الظهور الشريف للمهدي عليه السلام ويكون النداء في شهر رمضان ، في حين الظهور يكون بعد النداء السماوي مِن نفس العام ، في شهر محرم[1] .

ويبدو أنَّ طبيعة هذه الفتنة تكون خطيرةً وذات دلالة على مصالح الغرب في بلاد الشرق ، خاصَّةً إذا قرأنا طائفة من النصوص التي تؤكّد الحضور « الإرهابي » للغرب (الروم) في بلاد الشرق ، خاصَّةً بلاد الإسلام ، وبالأخصّ ما نسمِّيه اليوم « الشرق الأوسط » . ويكون لهذه الفتنة وقعُهَا الهائل على قوَّة أهل هذه المنطقة . ففي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : « تكون قبل المهديِّ عليه السلام فتنةٌ تحصر الناسَ حصراً ، فلا تسبُّوا أهلَ الشام ، بل ظَلَمَتَهُم ،

---

[1] عن الوليد بن عياش قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله : « أحذِّركم سبع فتن تكون بعدي ، فتنة تُقبل من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة تُقبل من اليمن ، وفتنة تقبل من الشام . وفتنة تقبل من المشرق ، وفتنة من قبل المغرب ، وفتنة من بطن الشام وهي فتنة السفياني » . وقال : فقال ابن مسعود : منكم مَن يدرك أوَّلها ، ومن هذه الامة مَن يُدرك آخرها . ابن حماد : صـ ٨٩ الحاكم : ج ٤ صـ ٤٦٨ . كما في ابن حماد بسنده إليه إلى ابن عياش .. عن علقمة قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله : وفيه : « .. وفتنة تقبل من المغرب . وهي السفياني » ثم ذكر قول ابن مسعود المتقدم ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ..

فإنَّ الابدالَ[1] منهم . وسيُرسلُ اللهُ سيباً مِن السماءِ ، فيفرِّقهم ، حتى لو قاتَلَتهُم الثعالبُ غلبتهم . ثـم يبعثُ اللهُ المهديَّ عليه السلام في اثني عشر ألفاً إنْ قلُّوا ، وخمسة عشر ألفاً إنْ كثروا ، وعلامتهم « أمت أمت » على ثلاث رايات ، يُقاتلهم أهلُ سبع رايات ، ليس مِن صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك ، ثـم يظهر المهديُّ[2] عليه السلام ، فيرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم »[3] ..

إذاً هذه الفتنة « خاصَّة » وذات إضعَاف شديد للمنطقة ، بل يبدو واضحاً مِن النصوص أنَّها ذات إنهاك شديد لأعداء الدِّين الذين يتقاتلون على المُلك والثروة وتوابعهما ، في ظلِّ تبعيَّاتٍ مكشوفة ، وولاياتٍ فاضحة للغرب الرومي الذي يقود دنيا الفساد ..

وكأنَّ هذه المنطقة تُشكِّل « هدفاً حيويَّاً » جدَّاً ، لقوى النظام العالمي آنذاك ، ما يستدعي تجييش الجيوش ، كما في طائفة مِن النصوص . وتنتهي هذه الفتنة على نحوٍ مِن هَدٍّ وهدم لأي قدرة لهؤلاءِ على الثبات أو الممانعة .

وتتعاظم قدرة « الأبدال » الإماميين ، في أعقاب هذه الفتنة الداخليَّة الدمويَّة ، التي تدوم ١٨ سنةً ، في ظلِّ قتالٍ وخلافٍ وصراعٍ هائل ، وتكون

---

[1] قال : (بدل .. في حديث .. (الأبدال بالشام) : هم الأولياء والعباد [النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ج ١ ص ١٠٧ :]

[2] وفي لسان آخر عنه قال : « .. يُرسل اللهُ على أهل الشام مَن يُفرِّق جماعتهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، وعند ذلك ، يخرج رجل من أهل بيتي في ثلاث رايات .. إلى آخر الحديث » مخطوطة ابن حماد ص ٩٦

[3] بشارة الاسلام ص ١٨٣ ..

نتيجتُها عذاباً للكافرين والمشركين ، ونقمةً على المنافقين ، ورحمةً للمؤمنين . وبدايةً لأحداثٍ وتطوُّراتٍ جديدة ذات أثرٍ بالغ ..

على أنَّ ما ورد في حديث الإمام علي عليه السلام يشير إلى وقوع ثلاث علامات رئيسيَّة ، تُبَشِّر بقرب الظهور المبارك ، منها فتنةٌ في بلاد الشام . على أنَّ زحف راية الخراسانيين ، أي دولة آل محمَّد صلى الله عليه وآله من بلاد الشرق ، التي تتمركز في خراسان (إيران) ، هو عنوان ضروريٌّ ومركزيٌّ في طائفة هائلة من النصوص ، هذه الطائفة التي تُؤكِّد حتميَّة قيام هذه الراية الموالية لآل محمَّد عليهم السلام ، والتي تُشَكِّل دولةً قويَّةً ، ذات نفوذٍ عظيم ، وقدرة على اختراق الأزمات ، وصمود في وجه الضغوط ، وحرفيَّة في صناعة الأحداث ،

إلى درجةٍ أنَّها تقفُ بقوَّةٍ بالغة ، مصرَّةً على إعلانها الإسلام ، والولاء لآل محمَّد صلى الله عليه وآله ، في ظلِّ جرفٍ هائلٍ من الطغيان والفساد العالمي ، بل في ظلِّ عداءٍ لافتٍ من كبريات قوى ذلك العالم لهذه الدولة « المحمَّديَّة العلويَّة » ، ومع ذلك ، تستطيع صناعة الأحداث الأوسطيَّة بشدَّة ، بل وتُؤثِّر بالأحداث العالميَّة على نحوٍ لافت ومثير ..

مع التأكيد على أنَّ راية الأبدال ، والعصائب ، والنجباء ، تكون على حلفٍ كاملٍ مع « السيِّد الخراساني » وهو زعيم ديني سياسي كبير ، يقود دولة الموطِّئين للمهدي عليه السلام بشكلٍ متعاظمٍ وقدرةٍ فائقة وتفانٍ مذهل . والمهم في حديثنا هنا ، أنَّ الأبدال يتعاظم دورهم في أعقاب هذه الفتنة

الصعبة ، التي تذلُّ الكافرين والمنافقين ، ما يعني أنَّ الفرَق والأحزاب والقوَى المشاركة في هذه الفتنة الحربيَّة ، تكون على نحوٍ واضحٍ من راياتِ الكفرِ مرَّةً ، ورايات النفاق مرَّةً أخرى ، ورايات الضلال مرَّةً ثالثة ، فيطحَن بعضُهُم بعضاً ، وتنهار قوَّتُهم .. فإذا وقعت فتنة الشام ، انهارت قدراتُهم بشدَّة بعد ١٨ سنة من القتال والطغيان والفساد ، وقد ورد في النص :

« تكون فتنة بالشام ، كأنَّ أوَّلها لعب الصبيان ، ثم لا يستقيم أمرُهُم على شيئ ، ولا يكون لهم جماعة »[1] .

أي تبدأ هذه الفتنة على نحوٍ عبثي بسيط ، لا قيمة له ، بل لا يبدو من سطح الأحداث أنَّ ذلك سيؤدِّي إلى هذه الكارثة من الصِّدام والعنف المسلَّح ، وفجأةً تتمادى ، حتى تتبلور على شكل كارثةٍ تعمُّ البلاد ، فلا يستقيم أمرُهُم على شيئ ، ولا يتَّفقون على حاكم ، حتى تأكل الحربُ قوَّتَهُم ، وتطحن طاقتهم . وبذلك تنهار قوَّةُ أهلِ الضلالِ والكفر والنفاق في تلك المعارك . وهذا معنى ما جاء في رواية أخرى : « اذا اختلف رمحانِ في الشام .. يجعلها اللهُ رحمةً للمؤمنين وعذاباً للكافرين »[2]. وهذه غير « فتنة السفياني » الذي يقود « انقلاباً مسلَّحاً » بدعمٍ هائلٍ من الروم وغيرها ، فيسيطر على عرش دمشق .

---

[1] (الحاوي للفتاوي ٢/٧٥)

[2] (البحار ٥٢/ ٢٥٣)

في الخلاصة :

بأعقاب هذه الفتنة الهائلة ، التي يجعلها الله رحمةً للمؤمنين ، وخذلاناً للكافرين والمنافقين ، والتي لا يشارك فيها أهلُ الإيمان ، يتعاظم أمرُ الأبدال ، وتتركَّز جبهتهم في ناحيةٍ من بلاد الشام التاريخيَّة (لبنان) ، إلى درجة تعجزُ عن منازلتها القوى الكبرى ، لعقباتٍ متنوِّعة ، وظروفٍ مختلفة ، بما في ذلك قوَّة السفياني ، رغم دعمه الكبير من الروم وغيرها .

على أنَّ الأرض والقوى السياسيَّة في بلاد الشام عامَّة تخضع لحكم السفياني ، إلا « منطقة الأبدال » الذين – قبل ذلك وبعدهُ – يناهضون اليهود في بلاد الشام ، كما يثبتون في وجه « المشاريع المختلفة » التي تقودها الروم وغيرها ، وصولاً إلى زمن السفياني وطغيانه . وكما في قول الإمام الصادق عليه السلام : « فينقاد له (أي للسفياني) أهلُ الشام إلا طوائفَ من « المقيمين على الحق » يعصمهم اللهُ من الخروج معه »[1] . ويتمسَّك الأبدال بولائهم لآل محمَّد عليهم السلام ، ومناداتهم بالخراساني الذي يُشكِّل دولة المركز الخراسانيَّة بالنسبة إلى الأبدال الشاميين ، وكذلك بالنسبة إلى العصائب العراقيين ، والنجباء المصريين .

ويصمد الأبدال في وجه السفياني الذي يُجهِّز جيشاً لذبحهم ودمار بلادِهم ، فيصبرون رغم الجُهد الهائل ، ويعصمهم الله من السفياني ، فيثبتون .

---

[1] (البحار ٥٢/٢٥٢) .

على أنَّ بلاد الشام تعاني من ظروفٍ اقتصاديَّةٍ متعاظمةٍ مِن قِبَل الروم وحلفاءها ، الأحاديث تتحدَّث عن « الحصار الاقتصادي الغربي » الهائل الذي يُضرَبُ على بلاد الشام ، والأزمة المعيشيَّة التي تضربُ الناس ، دون أنْ تحدِّد مدَّتها . في ظلِّ خطٍّ زمنيٍّ متعرِّجٍ ، يُراد منه إخضاع المنطقة للروم وعملائها ، بشتَّى الطُرُق الممكنة ، فيضحِّي الأبدال ، بل يتعاظم أمرهم بشدَّة ، ما بعد الفتنة الشاميَّة ، وصولاً إلى يوم الظهور الشريف . وكذلك الحال مع العصائب العراقيين والنجباء المصريين ، على أنَّ بعض الاحاديث تذكُر أنَّ الجوع والخوف يبلغ حدّاً متعاظماً في سنة الظهور ، فعن النبي ﷺ قال :

« يوشك أهل الشام أن لا يُجبَى إليهم دينارٌ ولا مدٌ . قلنا مِن أين ؟ قال ﷺ : مِن قِبَل الروم . ثم سكت ﷺ هنيهةً ، ثم قال : يكون في آخر الزمان خليفة (المهدي عليه السلام) يحثي المال حثياً ، لا يعدُّه عدا »[1] . إشارةً في صدر الحديث إلى محاولات الروم التجويعيَّة التدميريَّة للإقتصاد والمعاش ، ثمَّ إلى النِّعم والبركات الهائلة التي تتراكم في زمن المهديِّ عجل الله فرجه .

على أنَّ هناك بعض المتون التي يُستَفَاد منها الإشارة إلى جوعٍ وخوفٍ يُصيب أعداء الله في بلاد الشام أو يتركَّز فيهم . ففي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال : « سألتُ أبا جعفر ، محمد بن علي[2] عليه السلام عن قوله تعالى :

[1] البحار ج ٥١ ص ٩٢ ، فالسبب في هذه الضائقة الاقتصادية المالية والغذائية (منع الدينار والمد) يكونون الروم ، أي الغربيين .

[2] (يعني الامام الباقر)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥/٢﴾ فقال ﷺ : « الجوع عام وخاص . فأمَّا الخاص من الجوع ، فبالكوفة ، يخصُّ اللهُ به أعداء آل محمد ، فيهلكهم . وأمَّا العام ، فبالشام ، يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم (به)[1] » ..[2]

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ المستفاد من عدَّة متون أنَّ ضغط القوَى التي على رأسها الروم ، يكون على نحوٍ متعاظمٍ ، في ظلِّ فتَنٍ متنقِّلَة ، وحروبٍ مستعرة ، وجوعٍ ظاهر إشارةً إلى الرعب الإقتصادي المعيشي . وخوفٍ حاضر إشارةً إلى الحروب والنار والإبادة والدمار وشبه ذلك .. ورغم ذلك ، تُحدِّثُنا النصوص عن ثبات الأبدال ، وصمودهم ، وتعاظم أمرهم ، رغم أنَّهم يتعرَّضون لامتحانٍ قاسٍ في وجه السفياني الذي يجتاح « الكور الخمس » ، ويصل إلى فلسطين ، أو مناطق منها ، بحيث يبدو وكأنَّ

---

[1] – عصر الظهور – الشيخ علي الكوراني العاملي ص ٩٣

[2] وقد جاء في كتاب مشارق الانوار : « وجاء في بعض الروايات أنه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك : هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه . فيقبل عليه الناس ويشربون حبّه ، وأنه يملك الارض شرقها وغربها ، وأنَّ الذين يبايعونه أولاً بين الركن والمقام بعدد أهل بدر ثم تأتيه أبدال الشام ونجباء مصر وعصائب أهل الشرق وأشباههم . ويبعث الله جيشاً من خراسان برايات سود نصرةً له ، ثم يتوجَّه إلى الشام » وفي رواية أخرى : « إلى الكوفة ، والجمع ممكن » . وأنَّ الله تعالى يُؤيِّده بثلاثة آلاف من الملائكة ، وأن أهل الكهف من أعوانه . قال الاستاذ السيوطي : وحينئذ فسَّر تأخيرهم إلى هذه المدة إكرامهم بشرفهم بدخولهم في هذه الامة ، واعانتهم للخليفة الحق . وأنَّ على مقدمةِ جيشه جبريل ﷺ وميكائيل ﷺ على ساقته . [ج ٢ ص ٦٢] . وقال سعد الدين الفتازاني في شرح المقاصد : « خاتمة : ممَّا يلحق بباب الامامة ، خروجُ المهديِّ ونزولُ المسيح ﷺ ، وهما من أشراط الساعة . وقد وردت في هذا الباب أخبار صحاح .. » [عصر الظهور – الشيخ علي الكوراني العاملي ص ٣٦٩] .

فلسطين تكون قسمين .! فيحتلّ الكور ، إلا بلاد الأبدال ، فإنّها تثبت وتضحّي بقوّةٍ عالية ، ويعصمهم الله ، فلا ينزلون على حكم السفياني ، ويجاهرون بولاءهم لآل محمّد ﷺ وحلفهم الكبير مع الخراساني ، الذي يكون على الضفّة الأخرى قائداً لجبهةٍ هائلةٍ تخوض حرباً شاملة في وجه تكتُّل دولي ، يبدو أنّ نواته الرئيسيَّة الروم ، ثمّ الترك ، وبعض جيوش العرب ، واليهود ، ومع ذلك يثبت الخراساني بقوّة ، رغم أنّ « فتنةً داخليَّةً » متأخّرة ، تقع في أرض خراسان ، وتكون مدعومةً من أعداء الله والإسلام ، إلا أنَّها تفشل بشدَّة ، في ظلّ بروزٍ عظيم ومفاجئٍ للسيِّد « الحسني » الطالقاني ، الذي يُناصر الخراساني ويحمي دولة الإسلام والعترة النبويَّة ..

ومع انتصارات خراسان ، واختلاط الأحداث ، تتعاظم قوَّة الأبدال ، الذين يُشكّلون خندقاً رئيسيَّاً في وجه اليهود الغزاة ، وموقعاً مهمَّاً في خريطة الأحداث . بل يبدو من النصوص أنَّهم أهلُ تضحيةٍ وتفانٍ وثباتٍ وقوّةٍ ومنعة .. بحيث لا يستطيع السفياني أن يفتح بلادهم ، ولا الروم ولا غيرهم ..

وفي الإستنباط العام لفتنة الشام :

فإنَّ الخطَّ التصاعدي لهذه الفتنة ، يُؤدِّي إلى « إنهاك » القوى العسكريَّة التي تتقاتل .. الروايات تؤكّد أنَّ نهايتها تكون عذاباً للكافرين ، والمشركين ، ونقمةً على المنافقين ، ورحمةً للمؤمنين . ما يعني أنَّ « حرب الأفكار » أو حرب العقائد المتنوِّعة ، أو الهويَّات المختلفة ، تكون واحدةً من سمات هذه الحرب الفتنة ..

كما تعني أنَّ خلافاً عنيفاً يقع على السلطة والمُلك ، في ظلّ انقسامات سياسيَّة عسكريَّة ثقافيَّة ، تُشكّل سمة تلك الفتنة .. فإذا تفاقمت الفتنة ، أنهكَت قوى الكفر والنفاق وأتباع الطواغيت ، وفي الرواية : « اذا اختلف رمحان في الشام .. يجعلها الله رحمةً للمؤمنين ، وعذاباً للكافرين »[1] . على أنَّ الأبدال وأهل الإيمان لا يشاركون في هذه الفتنة الباطلة .. وبعد هذه الفتنة ، تبدأ جبهة الأبدال بالتنامي الكبير .

في التقييم :

أهميَّةُ نقاشنا تكمن في أنَّ « فتنة الشام » تُشَكّل واحدةً من العلامات المُتَموضعَة في سكَّة أحداث آخر الزمن . والتي بعدها يتبلور شكلٌ متنامٍ جدّاً من جبهة الأبدال التي تأخذ دوراً عملاقاً في الأحداث .. وتتعاظم قوَّة الأبدال ، وتقع بينهم وبين اليهود معارك ، بل المتون تؤكّد أنَّهم يخوضون حروباً شتَّى ، بل في بعضها تستعمل عبارة : « لا تزال طائفةٌ .. يقاتلون على الحق .. » ، تأكيداً على الوصف « الجهادي » التتابعي لهذه الجبهة الإماميَّة ..

ومن الأوصاف اللافتة في هذه الراية أنَّها راية حرب وجهادٍ ونضالٍ ومنعةٍ ومناهضة للباطل المتمثّل بجملةٍ من الأعداء .. وعن منعة هذه الراية ، وثباتها وشدَّة شوكتها ، تؤكّد المتون أنَّهم يبقون ثابتين ، مضحِّين ، مجاهدين ، فخورين بانتمائهم حتى ظهور المهدي عليه السلام ..

[1] (البحار ٥٢/ ٢٥٣) .

للأبدال دورٌ هام في آخر الزمان[1]

أورَدَتْ ، فيما مضى ، طائفةٌ من النصوص خصائص للأبدال ، تُؤكِّد أنَّ لهم موقعاً ضروريّاً ، وأنَّهم يُشكِّلون في لحظةٍ ما ، جبهةً مناضلةً ، ذات قدرةٍ مهمَّة ، لنصرة الحقّ ، والمناداة بالإسلام ، والإنتصار لآل محمَّد ﷺ والنزول على سلطان المهدي[2] ﷺ .. إذن من إحدى أدوارهم التاريخيَّة ، بروزهم على سطح الأحداث في آخر الزمن .. على أنَّ هويّتهم ولائيَّة لآل محمَّد ، وتحالفيَّة بكمالٍ تام مع الخراسانيِّ الذي يوطِّئ للمهديِّ سلطانه .

---

[1] ملاحظة : تركيزي على موضوع الأبدال ، لأنَّ أصل تأليف الكتاب يدور حولهم . وليس تركيزاً عليهم مقابل راية العصائب والنجباء . فتنبَّه للأمر .

[2] وقد ورد في « تاريخ مدينة دمشق » تحت باب « ما جاء أنَّ بالشام يكون الأبدال الذين يُصرف بهم عن الأمة الأهوال » جملة أحاديث ، أهميَّتها تكمنُ في تأكيدها على أصل الخبر ، منها : * حدثني شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، فيسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب (وذلك لما سيكون من بعضهم في آخر الزمن من الثبات على أمر أهل البيت ﷺ) . * عن شريح بن عبيد الحضرمي قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، العنهم ، فقال : لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الأبدال بالشام ، يكونون وهم أربعون رجلاً ، بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على أعدائكم ، ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق . * العلاء بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ قال : بدلاء أمتي أربعون رجلاً .. كلما مات منهم واحد أبدل مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا . * أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : البدلاء أربعون .. كلما مات منهم واحد أبدل الله تبارك وتعالى مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة . * عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن عزَّ وجلَّ ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً . ثمّ تمَّ نقل طائفة من النصوص التي تقول بأنَّهم أربعون . وجمع بعضهم بينها على أنَّ ثلاثين منهم يكونون على قلب إبراهيم ﷺ وعشرة أقل من ذلك . [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٩/ ٢٩٢] .

خريطة أنصار آل محمَّد في آخر الزمان وسلسلة قيامها :

[الرايات الناهضة]

يبدو واضحاً مِن النصوص أنَّ رايات أنصار المهدي عليه السلام والمنادين بجَهْرٍ لحكومةِ الإسلامِ وأهلِ بيتِ النبيِّ صلى الله عليه وآله في آخر الزمن ، تكون في « أرض خراسان » كـ« دولة مركز » لها نفوذ كبير ، بالإضافة إلى العراق ، ولبنان ، وفي لحظةٍ تاريخيَّة محدَّدة في مصر ، ثمَّ في اليمن ، حيث تبرز راية اليماني كقوَّة قتاليَّة تقلب الموازين في تلك اللحظات التاريخيَّة « الحرجة » من جهة ، والمعقدَّة من جهة أخرى .

واللافت – في الأخبار – أنَّ الولاء للمهديِّ عليه السلام يظهر في « اليمن » بسرعة ، ويبدو أنَّهُ فجأةً نسبيَّاً ، على أثر تحوُّل كبير يطرأ في اليمن ، فضلاً عن التطوُّرات المفاجئة في عالم آخر الزمن ، والتي منها الصيحة السماويَّة أيضاً ..

وبسرعة لافتة ، يقود « اليمانيُّ » الإماميُّ ، جبهةً عسكريَّةً كبيرةً لصالح المهدي عجل الله فرجه .

فيما أبدالُ الشام ، وعصائبُ العراق ، ونجباءُ مصر ، يكون لهم حضور تاريخي ووظائف لافتة .

أمَّـا أهـل خراسـان ، فهـم « مركـز القُطـب » لرايـات أهـل الحـقِّ والإيمان ، بحيث تكون لهم قوَّة ومنعة وظهور وقيادة وسلطان ونفوذ عظيم ، بل هم الذين يُوطِّئون للمهديِّ سلطانه .

ثمَّ يكـون ظهـور « اليمنيـين » .. ويكـون هـذا الظهـور مهمَّـاً للغايـة ، ومُلفتاً ، ومؤثِراً في طبيعة الميزان العسكري ، بل في ميزان القوى فـي منطقـة الشرق الأوسط ..

ثـمَّ تحكـي لنـا الروايـات جملـةً مِـن معـارك يـشارك فيهـا اليمـاني والخراساني معـاً ، فـي حـروبٍ طاحنـة ضـدَّ الـسفياني وغيـره ، فـي دمـشق ، والعراق ، وجملة مِن مناطق وجيوب الشرق الأوسط ..

بعض الروايات وصـفت اليمـانيين بالعـصائب ، إشـارة إلـى تجمُّعهـم على الحـقِّ ، ونـزولهم علـى رايـة المهـدي عليه السلام تحـت سـلطان اليمـاني أوَّل الأمر .. وفي رواية[1] أنس بن مالك ، عن النبي محمَّد صلى الله عليه وآله قال :

« دعائم أُمَّتي ، عصائبُ اليمن ، وأربعـون رجـلاً مِـن الأبدال بالشام ، كلَّما مات رجلٌ أبدلَ اللهُ مكانه ، أمَا إنَّهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكـن بـسخاء الأنفـس وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين »[2] .

---

[1] عبد الملك بن معقل عن يزيد الرقاشي عن ..

[2] - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٢

وعليه : تعبير « العصائب » لليمنيين هنا ، في الحقيقة هو من باب الإشارة إلى « خريطة المواقع الجبهويَّة المهمَّة » التي تكون للمهديِّ عليه السلام في آخر الزمان . فيما الإستعمال الشائع في لسان النصوص جاء للعصائب العراقيين .

وعلى أثر الظهور الشريف ، وما يتبع ذلك من حضور لأنصار المهدي عليه السلام المنتشرين في الأصقاع والنواحي ، يكون للأبدال والعصائب والنجباء صفة القيادة بالإضافة إلى غيرهم كالخراساني والسيِّد الطالقاني وشعيب بن صالح واليماني ، وطائفة أخرى مهمَّة يُشكِّلون معاً عدد ٣١٣ رجلاً هم « نواة القيادة » في جبهة المهدي عليه السلام ، وهم الذين ينضوون ضمن قيادة البعثات للحرب والأقاليم .

أمَّا اليماني ، فيكون – كما يبدو من مضامين بعض المتون – مأموراً من قبل المهدي عجل الله فرجه بتهيئة جيشه عليه السلام أوَّل الأمر . واليماني رجلٌ ممدوحٌ عظيمٌ ، رايتُهُ أهدى الرايات . لأنَّها راية المهديِّ عليه السلام مباشرةً حيث يتمُّ تأسيسُها في الظهور الخاص للمهديِّ الذي يدوم لأشهر .

فيما يكون للخراسانيين الحظُّ الكبيرُ في توطئة سلطان المهدي عجل الله فرجه . على أنَّ أهل خراسان يُشكِّلون قيمةً رفيعةً جدَّاً ومستوىً متألِّقاً من التضحية والجهاد والثبات ، يُؤكِّد عظيم الولاء والرفعة في قيادة ووزارة المهدي عجل الله فرجه . والمهم في بحثنا هذا أن نشير إلى موقع الأبدال والعصائب ، وأيضاً النجباء في تلك اللحظة التاريخيَّة العظيمة ، وهي لحظة ظهور

المهدي عليه السلام والإعلان العام عن ظهوره واصطفاف الناس لبيعته . لا شكّ أنّها لحظةٌ تهتزُّ لها القلوب ، وتقشعرُّ الأبدان ، وتحتار الأحاسيس .. الرواية عن تلك اللحظات ، تُعطينا صورةً للأبدال والعصائب والنجباء وموقعهم المميَّز ، فتؤكِّد أنَّهم يأتون المهدي عليه السلام وجملة من الخاصّة الخاصَّة ، بالإضافة إلى غيرهم ، فيبايعون المهديَّ عليه السلام بين الركن والمقام ، ثمَّ تؤكِّد لنا رفعتهم وميزتهم عند المهدي عليه السلام ..

على أنَّ الحديث الذي ترويه أمُّ سلمة زوجة النبيِّ صلى الله عليه وآله هو من النصوص الشهيرة عند كافَّة علماء المسلمين ، حيث تُسجِّل لنا فيه الصفة المتعاظمة لموقع هذه الجماعة . فهي تروي عن النبيِّ أنه قال : « يكون اختلاف عند موت « خليفة » ، فيخرج رجلٌ (أي المهديُّ عليه السلام) من المدينة ، هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ، فيخرجونه وهو[1] كارهٌ ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويُبعَثُ إليه بعثٌ من الشام فيُخسَفُ بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك ، أتاهُ أبدالُ أهل الشام وعصائبُ أهل العراق[2] فيبايعونه . ثم ينشأ رجلا من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمَن لم يشهد غنيمة كلب . فيقسم عليه السلام المالَ ، ويعمل فيهم بسنَّة نبيِّهم صلى الله عليه وآله ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض[3] .. »[1] . [2] .. ثمَّ أضاف صاحب « تاريخ دمشق »

---

[1] م . س . نفس الصفحة .

[2] وفي طائفة من الأخبار تذكر أيضاً نجباء مصر .

[3] أي يتمكَّن الإسلام ..

قائلاً : « روى عبد الله بن الحارث عن أم سلمة عن النبي ﷺ بهذا ، وقال : حديث معاذ . أتمُّ ، ويذكر (فيه) عن مجاهد عن أم سلمة بهذا ، إلا أنه قال « فيخرج رجلٌ من « بني هاشم » من المدينة ، حتى يأتي مكَّة »[3] . وهو يعني بذلك المهديَّ ﷺ . وهو أمرٌ واضحٌ جداً لكثرة النصوص فيه بل لتواترها .

وعليه : للأبدال والعصائب وأيضاً للنجباء الموالين لآل محمَّد ، حضورٌ متعاظم ، وبقاء حتى يوم الظهور الشريف ، سوى أنَّ العصائب العراقيين والنجباء المصريين يتعرَّضون لضغط شديد عبر احتلال بلادهم ، فيما الأبدال الشاميين (في لبنان) يبدو أنَّهم يملكون من القوَّة وأسباب الصمود والثبات ما يمنع بلادهم على السفياني وغيره من الطغاة المجرمين ..

---

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٣ :

[2] وفي رواية هشام عن قتادة عن أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعث إليهم جيش من الشام فيخسف بهم بالبيداء فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليه المكي بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض .. » [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٣] وكذا عن مجاهد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قلت : قال رسول الله ﷺ : « يكون في أمتي اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة - زاد ابن حمدان إلى مكة - وقالا : فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعهم بين الركن والمقام ، فيبعثون إليه جيشاً من الشام ، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم ، فإذا بلغ الناس ذلك أتاهُ أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه ، وينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً - أو قال جيشاً - فيهزمونهم ويظهرون عليهم ، فيقسم بين الناس فيهم ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض ..» [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٤] .

[3] - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٤

خريطة بعض المناطق والرايات والأوصاف :

[لغة الرموز والنتائج الكاملة]

.. يقرأ المُتَتَبِّع للنصوص إشارات مهمَّة واردة في بعض الأخبار ، يُراد منها لفت النَّظَر إلى خصائص تاريخيَّة كبرى وصفات مُرَمَّزة ، منها ما ذكرهُ إبن عساكر (صاحب تاريخ دمشق) في روايته عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال :

« مكة آيةُ الشَّرف ، والمدينة معدنُ الدِّين ، والكوفةُ فسطاطُ الإسلام ، والبصرة فجرُ العابدين ، والشام معدن الأبرار ، ومصر عشّ إبليس وكهفه ومستقرُّهُ ، والسند مدادُ إبليس ، والزنى في الزنج ، والصدقُ في النوبة ، والبحرين منزلٌ مبارك ، والجزيرة (العراق) معدنُ القتل ، وأهلُ اليمنِ أفئدتُهُم رقيقة ، ولا يعدمهم الرزق ، والأئمةُ عليهم السلام من قريش ، وسادةُ النَّاس بنو هاشم »[1] .

[1] تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٤

ومعلوم أنَّ مكَّة تكون مهدَ المهديِّ عليه السلام العظيم زمنَ الظهور .

كما تكون المدينة نقطةَ تنقُّله وأوَّل موطنه في الظهور الخاص الذي يدوم لأشهر ، ومنها يخرجُ على أثر زحف جيش السفياني الذي يُريد قتله ، والذي حين لا يجدهُ يقوم بقتلِ كلِّ مَن يجدهُ من الهاشميين وأتباع أهل البيت عليهم السلام .

فيما الكوفةُ ستكون بمثابة فسطاط الإسلام ، وهي باتفاق الرواية تكون عاصمة دولة المهديِّ عليه السلام ، العاصمة العالميَّة التي يُدير منها الأرض كلَّها .

أمَّا البصرة فإنَّها تتحوَّل إلى منطقةٍ ذات حضورٍ متعاظمٍ لأتباع أهل بيت النبي ، الذين ينادون بالمهديِّ عليه السلام في آخر الزمن ، وفيها تقع أحداث مختلفة ، وإليها يهبط الجيش الخراساني لمناصرة شيعة أهل البيت عليهم السلام على أثر هجوم جيش السفياني على تلك النواحي .

أمَّا الشام ، ففيها تقع ملاحم مختلفة ، وتُحكَم بالإبادة والقتال والعدوان عبر السفياني الطاغي ، الذي يسيطر على الكُوَر الخمس لكنَّه يفشل في حملته العسكريَّة على منطقة الأبدال الموالين لآل محمَّد عليهم السلام ، الذين يكون مركز نفوذ رايتهم في لبنان[1] ، ويكون لهم حضورٌ وقوَّة ،

---

[1] أما في بعض بلاد الشام ، أعني لبنان ، الذي يحتضن راية الأبدال ومركز نفوذهم الكبير وقوَّتهم ومنعتهم وصبرهم على الجهاد والصمود ، فإنَّ السفياني يفشل في فتح هذه المنطقة ، ورغم الجهد الذي يُصيب راية

وصلابة ، وقدرة عالية ، فيُصرُّون على أمر المهدي عليه السلام ، ويناصرون آلَ محمّد ، ويعلنون تحالفهم الكامل مع الخراساني الموطِّئ للمهدي عجّل الله فرجه . فيجرِّد السفياني جيشاً جبَّاراً لاحتلال بلادِهم وقتلهم ، فيثبتون له ثباتاً جبَّاراً ، في ظلِّ تضحياتٍ عالية ، وقدرةٍ موصوفة ، فيفشل جيش السفياني .

أمَّا مصر ، فإنَّها تعاني بشدَّة هائلة مِن عَمَالَةِ حاكمها مع الروم ، الذي يعمل على تحويلها إلى طعمةٍ للغرائز والحرام ، والطغيان الرومي في وجه الإسلام ، فيهبّ في وجهه « نجائب مصر » ، وهم جماعة ، موصُوفُون في النصوص ، موالون لآل محمَّد ، مِن شيعة آل بيت النبي عليهم السلام ، فيؤازرهم الشعبُ في وجه « طاغية مصر » فيخرج مخلوعاً من عرشِه نحو الروم ، فيستنجدها ، فتأتي جيوش الروم ، وتخوض حرباً هائلة ، النصوص وصفتها بالملحمة ، بل تكون « أوّل ملحمة » لشدّة العنف والقتل والحرب التي تقع بين النجباء والروم ، وتكون المعركة المشهورة في الإسكندريَّة . لكنَّ الروم لا تستطيع أن تسيطر على تلك البلاد كما يبدو ، لذلك تستنجد براية « أهل المغرب » التي تزحف جيوشها للقتل والإبادة في مصر تحت ظلِّ دعم الروم .

الأبدال فإنَّهم يُشكِّلون عقبةً رئيسيَّةً في وجه تمدّد السفياني . وفي المجموع العام للروايات العديدة أنَّ السفياني يسيطر على بلاد الشام كلِّها إلا منطقة الأبدال مِن الشام ، وفي صريح الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « .. فينقاد له أهلُ الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه » [البحار ٥٢/٢٥٢] وذلك بما يملكون من قوّة صمود وثبات ، ومواجهة وصبر وأناة . ومعلوم أنَّ الأبدال يكونون مشهورين بتحالفهم الكامل مع الخراساني الموطِّئ للمهديِّ سلطانه .

ويبدو من النصوص أنَّ النجباء يصبرون رغم الجراحات الهائلة التي تصيبهم ، إلى أن يخرج السفياني ، وينتصر على « حاكم دمشق » ويكتسح الرايات ، بدعمٍ من الروم وغيرها ، عندها ، يُجرِّد جيوشه نحو مصر ، فيقتل ويبيد ، ويحرق بالنَّار ، ويسبي النساء ، ويُحَوِّل بعض أرض مصرٍ إلى طغيان شيطانٍ بقتله وإبادته ، إنتصاراً لجُحده وللروم معاً على حساب الإسلام وعظمته .. لكنَّ يبدو من « لوازم بعض النصوص » أنَّ النجباء يظلُّون مسيطرين على بعض الجيوب ، فإذا ظهر المهدي عليه السلام ، هبُّوا إليه ، يبايعونَهُ في مكَّة .. وصولاً إلى آخر ما ورد من رموز في الحديث الوارد أعلاه .

والمهم عندي ما وَرَدَ في وصف « أهل اليمن » ، مِن أنَّ أفئدتهم رقيقة ، إشارة إلى أنَّهم يتقبَّلون أمرَ المهديِّ عليه السلام بسرعة هائلة ، لذلك تَشَكَّل « جبهة اليماني » بسرعةٍ فائقة ، فيعلنون ولائهم للمهديِّ عليه السلام وبتحوُّل سريع . وفي حديث شديد الصراحة في قتالهم آخر الزمان مع المهديِّ قال صلى الله عليه وآله : « لله في اليمن كنزان : جاء بأحدهما يوم تبوك - كانت الأزد يومئذ ثلث الناس - ويجيئ بالآخر يوم الملحمة العظمى ، سبعون ألفاً ، حمائل سيوفهم المسد »[1] ..

إلى أن يختم النص بقوله : « الأئمةُ مِن قريش ، وسادةُ النَّاس بنو هاشم »[2] . ولا شكَّ أبداً في أنَّ الإمامة بأهل

---

[1] (عقد الدرر ٢١٥)

[2] - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٥

البيت عليهم السلام من بني هاشم . والنصوص في أنَّ « الأئمَّة إثنا عشر ، كلّهم من قريش » متواترة عند السنَّة والشيعة . بل الحجَّة كلُّها في النصوص المرويَّة عند علماء المسلمين جميعاً والتي تُؤكِّد أنَّ الأئمَّة عليهم السلام في أهل بيت النبيِّ المُطَهَّرين ، وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله ترك في المسلمين الثقلين : كتاب الله وعترته أهل البيت عليهم السلام ، وصولاً إلى حديث الكساء وآية التطهير وحديث المنزلة وغدير خم ، وغيرها من الأحاديث التي لا تُحصَى ، وهي صحيحة متواترة باتفاق كلمة المسلمين جميعاً . وهي واردة في أهل البيت الذين أوَّلُهُم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وآخرهم المهدي عجل الله فرجه بدليل النصوص الكثيرة . بل طائفة من النصوص سمَّتهم : إسماً إسماً ، وهي واردة في متون وأخبار أهل السنَّة والشيعة[1] ..

وعليه : بخصوص ما جاء في المتن النبوي الذي رواهُ إبن عساكر ، هناك « خريطة للبلدان » ، ذات دلالات رمزيَّة ، وذات إشارات مبطَّنة . يبدو فيها أنَّ لأبدال الشام الموالين لآل محمَّد عليهم السلام حضوراً بارزاً ، وثباتاً لافتاً ، خاصَّةً أنَّهم يثبتون على ولاية آل محمَّد ، ويُشكّلون جبهةً قويَّة في وجه

[1] يمكن مراجعة كتاب « الغدير » للعلامة الأميني رحمه الله تعالى حتى تهتزّ القلوب من عظمة الدليل وتواتره في الإمامة بأهل البيت عليهم السلام بدءاً من عليٍّ حتى المهدي محمد بن الحسن عليه السلام ، وبالأسماء والتفاصيل الكاملة والبرهان المذهلة ..

اليهود ، والروم ، وأتباع الباطل والسفياني ، منذ زمن الغيبة وحتى الظهور .. وكذلك الحال مع العصائب والنجباء ، إلا أنّهم يعانون من احتلال قوى الطغيان لبلادهم . وفي حديث القزويني .. عن سعيد بن أبي هلال ، عن علي رضي الله عنه ، قال :

« قبة الإسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنجباء بمصر ، والأبدال بالشام ، وهم قليل[1] »[2] .

وقد لَحظَت النصوصُ بصراحة تامَّة ، أمرَ السفياني الطاغي ، المدعوم مِن الروم ، وأنَّه يكون عدوًّاً لدوداً لأبدال برِّ الشام ، الذين يكونون في « لبنان » ، ويكون جبل عامل ، مركز حضورهم المشهور أو « مركز كفاحهم » ، كما يبدو من نصوص مقارعتهم لليهود عند أكناف بيت المقدس ، أي نواحيه . أو هو رمز الإشارة في النصوص .

ورد ذلك في إطار بيان خرائط الثورات أو الجبهات التي تنادي بالمهدي عليه السلام والإسلام في آخر الزمان ، فضلاً عن وجود دولة عملاقة ، مثل دولة خراسان ، التي ترعى مثل هذه الثورات أو تلك الجبهات الأقل حضوراً – بالمعنى العالمي – والتي تُعلن تحالفها مع السيِّد الخراساني

---

[1] قال كعب الأبدال ثلاثون . [والصحيح : أربعون ، جمعاً بين النصوص خاصّةً أنّ نصوص الأربعين متعدّدة الطرق وبعضها معتبر] .

[2] – تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٦

الموطِّئ لسلطان المهدي[1] عليه السلام . على أنَّ صفة الأبدال ، وشأنهم ، ودورهم يبدو عظيماً إلى درجة أننا نجدُ جملةً مِن المبرَّزين ، كانوا يتمنَّون أن يكونوا منهم أو يرونهم[2] . بل تقرأ في المتون إصرارٌ من الإمام علي عليه السلام على التفريق بين أمر معاوية الذي خرج على الإمام الحقّ ، وبين ما يكون مِن جماعةٍ مواليةٍ إماميَّةٍ تكون في آخر الزمان ، زمن المهديِّ عليه السلام ، في ناحيةٍ مِن بلاد الشام ، بحيث يكون لها حضورٌ تاريخي ، في ظلِّ عالمٍ قائمٍ على الفساد والضلال[3] ، فتنتصر للحق ، وتثبت عليه ، وتنادي بالإسلام ديناً ، وتبذل في سبيل ذلك أثماناً عظيمة ..

---

[1] وفي رواية أبي الطفيل عن الإمام علي عليه السلام قال : « الأبدال بالشام والنجباء بالكوفة » [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٦] إشارة إلى خريطة توزُّع مناصري آل محمَّد في آخر الزمان . وهنا يُراد منها العبارات الأعم ، وإلا فإنَّ النصوص قسّمت الأوصاف التوزيعيَّة على النحو التالي : الأبدال في الشام ، العصائب في العراق ، النجباء في مصر .

[2] ففي « تاريخ مدينة دمشق » (لابن عساكر) قال : « كتب عمر إلى أبي عبيدة قبل ذلك إذا فرغت من دمشق إن شاء الله فاصرف أهل العراق إلى العراق ، فإنَّه قد ألقي في روعي أنكم ستفتحونها ، ثم تدركون إخوانكم فتنصرونهم على عدوهم . وأقام عمر بالمدينة لمرور الناس به ، وذلك أنهم ضربوا إليه مِن بلدانهم ، فجعل إذا سرح قوماً إلى الشام . قال : ليت عن الأبدال ، هل مرَّت بهم الركاب أم لا . وإذا سرح قوماً إلى العراق قال : ليت شعري كم في هذا الخير من الأبدال [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٥] إشارة صريحة جداً إلى شياع خبر الأبدال الذين سيكون لهم قيمة كبيرة في آخر الزمن ، زمن عصر الظهور العظيم ، على أنَّ النصوص صريحة جداً في أنَّ الأبدال يكونون على ولاءهم المشهور لآل محمَّد عليهم السلام .

[3] ففي رواية حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : خطبنا عليٌّ فذكر الخوارج ، فقام رجلٌ فلعنَ أهل الشام ، فقال له : « ويحك لا تعمم » [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٦] إشارة إلى ما يكون في آخر الزمن من الأبدال الإماميين . (وفي لفظٍ آخر) قال : « إنْ كنت لاعناً ، ففلاناً وأشياعه » [أي أشياع معاوية ولا تُعمِّم] فإنَّ منهم الأبدال ، ومنكم العصب » [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٧] [أي من العراقيين] إشارة « صريحة وكاملة » إلى الأبدال الشاميين الذين يكونون على ولاء آل محمَّد عليهم السلام في آخر الزمن ، والعصائب العراقيين الذين يكونون أيضاً على ولاء آل محمَّد عليهم السلام آخر الزمن .

.. ثمَّ على مستوى الهرم وتشكيلات الجبهة ، نجدُ الإمام علي عليه السلام ، يُحَدِّد إطاراً جبهويَّاً في آخر الزمن ، يقوم على صرحٍ تقودهُ دولة خراسان ، عبر الخراساني الإمامي الذي يُنادي بالإسلام ديناً ، ويُوطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانَهُ ، ويدعم جبهاتٍ مختلفة من الأرض ، لقيامِ أمرِ الإسلام . أهمُّها : أبدال الشام (مركز نفوذهم يكون في لبنان) وعصائب العراق (في العراق) ، ونجباء مصر (في مصر) .

إلى درجة تجد طائفةً واسعةً مِن النصوص وردت في المجموعات الحديثيَّة عند السنَّة والشيعة ، تُؤكِّد هذا التوزيع الخرائطي لمثلِ هذه الفئات ذات الميزة الدينيَّة والولائيَّة لآل بيت رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذات الجبهات التي تقود بعض الجماعات لتقف في وجه الباطل ، وتعلن نصرتها الكاملة للحقِّ الإلهيِّ على وجه الأرض .

وفي رواية « الليث بن سعد » عن عياش بن عباس القتباني ، أنَّ علي بن ابي طالب قال :

« الأبدال مِن الشام ، والنجباء من أهل مصر ، والأخيار من أهل العراق »[1] .

ليؤكِّد هويَّة التوزيع المكاني لوجود هؤلاءِ الإماميين ، لتأتي النصوصُ وتعطي تفصيلاً أكثر حول النواحي التي يكونون فيها في بلاد

---

[1] تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٧

الشام ، والتي يبدو بوضوح أنَّ « مركز الأبدال » الإماميين ، يكون في لبنان . كما أنَّ المتون صريحة في أنَّ الأبدال يكون لهم دور وظيفي مهم زمن الغيبة ، وزمن الظهور الشريف ، بل طائفة منها صريحة بالكامل في أنَّ الأبدال والعصائب (والنجباء في طائفةٍ أخرى) يكون لهم القرب والزلفى من المهدي عليه السلام . ففي رواية[1] ابي الطفيل ، عن عليّ ، قال : سمعت عليّاً يقول :

« إذا قام قائم آل محمَّد (أي المهدي عليه السلام) جمع اللهُ له أهلَ المشرقِ وأهلَ المغرب ، فيجتمعون كما يجتمع « قزع الخريف[2] » ، فأما الرفقاء فمِن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمِن أهل الشام »[3] .

إذاً ، الحدثُ التاريخيُّ للأبدال ، بلفظ النصوص ، مقرون بزمن الغيبة ، أي في آخر الزمن ، ثمَّ بأحداث الظهور وما بعده .. هذا ما ورد بصراحةٍ تامَّة في مجموع النصوص عند السنّة والشيعة . لتأكيد خطوط التاريخ ، وبيان المسارات في آخر الزمن .. وفي رواية سعيد بن الوليد الهجري عن أبيه قال : قال علي – وهو بالكوفة – :

« ما أشد بلايا الكوفة ، لا تسبُّوا أهل الكوفة ، فوالله إنَّ فيهم لمصابيح الهدى ، وأوتاد ذكر ومتاع إلى حين ، والله ليدقنَّ الله بهم جناح

---

[1] ابن إبراهيم الأزدي ، عن فطر ، عن ابن طفيل ..

[2] أي غيم الخريف .

[3] تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٧

كفر لا ينجبر أبداً . إنّ مكة حرم إبراهيم ، والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ، والكوفة حرمي ، ما مِن مؤمن إلا وهو مِن أهل الكوفة أو هواهُ لينزع إليها . ألا إنّ الأوتاد من أبناء الكوفة ، وفي مصر من الأمصار ، وفي أهل الشام أبدال »[1] .

ومعنى هذا ، أنّ للنجباء ، والعصائب[2] ، والأبدال ، دوراً تاريخيّاً مهمّاً جدّاً في أحداث آخر الزمن ، والصراع العالمي - خاصّة الأخير - الذي ينشب في ظلِّ مرحلة شديدة التسارع ، في حين يكون للروم جبروت هائل ، ولجملة مِن قوَى العالم طغيان واضح ،

لكن بالمقابل تؤكّد النصوص على وجود دولة خراسانيّة عقائديّة يقودها سيّدٌ خراسانيٌّ إماميٌّ ، هذه الدولة تمتلك من وسائل القوّة والمنعة والصلابة والنفوذ ، ما يجعلها قوّةً رئيسيَّةً هي الأهم في ما نُطلق عليه اليوم

[1] م . س . نفس الصفحة .

[2] قال إبن الأثير : تحت باب العين مع الصاد : « عُصَب » فيه أنه ذكر الفتن . وقال : فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام ، وعصائب العراق ، فيتبعونه » . * العصائب : جمع عصابة ، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ، ولا واحد لها من لفظها . ومنه حديث علي : « الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق » أراد أن التجمُّعَ للحروب يكون بالعراق . وقيل : أراد جماعة من الزهاد سمّاهم بالعصائب . لأنه قرنهم بالأبدال والنجباء .. وفيه : « ثم يكون في آخر الزمان أمير العصب » هي جمع عصبة كالعصابة ، ولا واحد لها من لفظها . وقد تكرَّر ذكرهما في الحديث . وفيه : « أنه صلى الله عليه وآله شكى إلى سعد بن عبادة عبد الله بن أبي فقال : اعف عنه ، فقد كان اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه بالعصابة ، فلما جاء الله بالإسلام شرق بذلك » . يعصبوه : أي يسودوه ويملكوه . وكانوا يسمون السيد المطاع معصباً . لأنه يعصب بالتاج أو تُعصَب به أمور الناس : أي ترد إليه وتدار به . (وكان يُقال له أيضا : المعمَّم) والعمائم تيجان العرب ، وتسمَّى العصائب ، واحدتها : عصابة . [النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ج ٣ ص ٢٤٣] .

إسـم « الـشرق الأوسـط » ، بـل لاعبـاً مهمّـاً متناميـاً علـى المسرح الـدولي . النصوص تُعطي دولـة خراسان قـدرة مهمّةً فـي « صـناعة الأحـداث » ذات البُعد العالمي ، وتؤكّد على دورها المثير في المسرح الدولي ، وتألُّقها الكبير في الشرق الأوسط[1] .

[1] وقد تَعرَّض لذكر « الأبدال » كلٌّ من أرَّخ في هذا المعنى ، وتحدَّث عن آخر الزمان ، وعن الفئات الخاصَّة بإيمانها .. وفي التطبيقات حسب ما ورد عن إبن عساكر : عن إبراهيم بن نصر الكرماني أحد الأبدال كان يكون بجبل لبنان من أعمال دمشق [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ٧ ص ٢٣٩] . * وعن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان قال بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي أنَّه إلياس النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فسلَّمت عليه فانفتل من صلاته فردَّ عليَّ السلام ، فقلت له مَن أنت يرحمك الله ، فلم يرد عليَّ شيئاً ، فأعدت القولَ مرَّتين ، فقال : أنا إلياس النبي ، فأخذتني رعدةٌ شديدة ، خشيتُ على عقلي أن يذهب ، فقلت له : إنْ رأيت - رحمك الله - أن تدعو لي أن يذهب اللهُ عنّي ما أجد حتى أفهم حديثك ؟ فدعا لي بثمان دعوات ، فقال : يا بر يا رحيم ، يا حي يا قيوم ، يا حنان يا منان ، يا هيا شراهيا ، فذهب عني ما كنت أجد ، فقلت له : إلى مَن بعثك ؟ قال : إلى أهل بعلبك ، قال : فهل يُوحى إليك اليوم ، قال : منذ بُعث محمَّد ﷺ خاتم النبيين فلا ، قلت : فكم من الأنبياء في الحياة ؟ قال : أربعة ، أنا ، والخضر في الأرض ، وإدريس وعيسى في السماء . قلت : فهل تلتقي أنت والخضر ؟ قال : نعم ، في كلِّ عام بعرفات وبمنى .. قلت : فكم الأبدال ؟ قال : هم ستُّون رجلاً ، خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجلان بالمصيصة ، ورجل بأنطاكية ، وسبعة في سائر أمصار العرب ، هم بهم يسقون الغيث وبه ينتصرون على العدو بهم ، وبهم يقيم الله بهم أمر الدنيا حتى إذا أراد الله أن يهلك كلهم أماتهم جميعاً [تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ٩ ص ٢١٥] . (أقول : أوردت المتنين للإشارة إلى أصل شهرة الأبدال) . وعن عبد الرحمن بن مسلم قال : دخلت أنطاكية إلى مسجد الجامع ، فإذا أنا بشيخ جليل جميل ، فسلَّمتُ وجلستُ فقال لي : من أين أنت ؟ قال قلت : أنا من « أهل حران » ، قال : أما إنَّها مدينة إبراهيم الخليل ولا يزال فيها رجل من الأبدال إلى أن تقوم الساعة . [تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١٤ ص ٤٣٤] . وعن غيره نصوصٌ واضحة في ذلك ، ثمَّ بعد ذلك أشار جملة من الحفّاظ إلى خريطة الزمان في بعض المتون ، ورموز ذلك الزمان ، وهذا أمر واضح في طائفة واسعة من النصوص منها :

.. ومهما قلَّبتَ النصوص فإنَّك تجد عمدة المنادين بالمهدي عليه السلام هم أهل خراسان ، فيما التركيز على الرايات الموالية ينصبُّ على الأبدال المناهضين لليهود وغيرهم ، والثابتين على الحقّ ، والمعلنين جهراً ولايتهم لأهل البيت عليهم السلام ، وكذلك على العصائب العراقيين والنجباء المصريين .

- عن محمد بن علي قال : إذا سمع العائذ (يعني المهدي) الذي بمكة بالخسف ، خرج مع إثني عشر ألفاً فيهم « الأبدال » حتى ينزلوا إيلياء ، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيلياء ، لعمرو الله ، لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعث إليه ما بعث ، فساخوا في الأرض ، إنَّ هذا لعبرة وبصيرة ، ويؤدي إليه السفياني الطاعة ، ثم يخرج حتى يلقى كلباً – وهم أخواله – فيعيِّرونه بما صنع ، ويقولون : كساك اللهُ قميصاً فخلعته ! فيقول : ما ترون ، أستقيله البيعة ؟ فيقولون : نعم ، فيأتيه إلى إيلياء فيقول : أقلني ، فيقول : إني غير فاعل ، فيقول : بلى ، فيقول له : أتحب أن أقيلك ؟ فيقول : نعم ، فيقيله ، ثم يقول : هذا رجل خلع طاعتي ، فيأمر به عند ذلك ، فيذبح على بلاطة أيليا ، ثم يسير إلى « كلب » فالخائب من خاب يوم نهب كلب » . وقال ابن لهيعة في حديث آخر : قال « يسير حتى ينزل إيلياء ويبايعه الآخر « فرقاً منه » ثم يندم ، فيستقيله فيقيله ثم يأمر بقتله وقتل من أمر بالغدر » [كتاب الفتن – نعيم بن حماد المروزي ص ٢١٥] .
- عن أمِّ سلمه زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت : قال صلى الله عليه وآله : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث الشام ، فتخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وآله ، ويلقى الاسلام بجرانه إلى الارض .. » قال أبو داود : وقال غير معاذ عن هشام تسع سنين . قال هذا سياق الحفاظ كالترمذي وابن ماجه القزويني وأبي داود [كشف الغمة – ابن أبي الفتح الإربلي ج ٣ ص ٢٧٩] .

لكـن النـصوص تركّـز بـوفرةٍ علـى الأبـدال[1] ربّمـا بـسبب طبيعـة الأحـداث واتّصالها بجبهتهم . ثمَّ التركيز على رايـة اليمـاني المهمَّـة للغايـة والعظيمـة ، التي تصفها النصوص بالراية الأهدى ، ببساطة لأنَّها راية المهدي عليه السلام . لكنَّ راية اليماني متأخِّرة زمنيًّاً عن الرايات التي أشرنا إليها ..

إذن الروايات شديدة الصراحة ، وذات رموزٍ عاليـة ، وذات تفـصيل محـدَّد - أحيانـاً - بالمواقيـت ، وذات خـرائط معيَّنـة ، حـول هـذه الفئـات الخاصَّة الممدوحة بلسان النصوص .

فقد روى « إبن عساكر[2] »[1] عن أبي بكـر الـصوفي المعـروف بالزقـاق يقول في مجلس أبي قريش ، قال أبو سليمان :

---

[1] على أنَّ بعض النصوص ربَّما تشكو من إجمال في تفصيل العدد ، لكنَّها تشير إلى النـاتج الإجمـالي مـن الثقـة والشهرة في النصوص الخاصَّة بالأبدال والعصائب والنجباء . إلى درجة أنَّ صاحب تاريخ دمشق وضـع لهـا باباً خاصّاً . فمن تلك النصوص التي تؤكّد على خصوصيّة الأبـدال ، فـي حـين بعـضها يؤكّـد علـى خريطـة تـوزُّع الرايات الثلاث : الأبدال والعصائب والنجباء : * أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصب باليمن ، والأخيار بـالعراق . * وروى عيـسى عـن هـشام عـن مـن سـمع الحـسن البصري يقول : لن تخلو الأرض من سبعين صديقاً ، وهم الأبدال ، لا يهلك منهم رجل إلا أخلف مكانه مثلـه ، أربعون بالشام ، وثلاثون في سائر الأرضين . * عن قتادة قال : لن تخلو الأرض من أربعين ، بهم يغاث النـاس ، وبهم تنصرون ، وبهم ترزقون ، كلما مات منهم أحد أبدل مكانه رجلا . * عن أبي الزاهريـة قـال : الأبـدال ثلاثون رجلاً بالشام ، بهم تجارون ، وبهم ترزقون ، إذا مات منهم رجل أبدل الله عز وجل مكانه . * عن ضـمرة عن ابن شوذب قال الأبدال سبعون ، فستون بالشام ، وعشرة بسائر الأرضين . * عـن عثمـان بـن عطـاء عـن أبيـه قال : الأبدال أربعون إنساناً . قال قلت له : أربعون رجلاً . قال : لا تقل أربعين رجلاً . ولكن قـل أربعـين إنـسانا ، لعلَّ أن يكون فيهم نساء [تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١ ص ٢٩٨ / ٣٠٠] .

[2] قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبد الله الحسين بـن يحيـى بـن إبـراهيم بـن الحكاك أنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الشيرازي ..

« المجتهدون بالبصرة ، والفقهاء بالعراق ، والزهاد بخراسان ، والبدلاء بالشام »[2] .

قيمةُ هذا النصّ ، مع طوائف أخرى ، ورموز مرويَّة وتفصيليَّة ، أنَّه يُؤكِّد « خريطة رايات المؤمنين الموالين الذين ينادونَ بالمهدي عليه السلام » ، ويُصرُّون على تطبيق أمر الله تعالى ، ويُجهِدُون أنفسهم في التوطئة لظهور المهدي عجل الله فرجه .

على أنَّ النصوص أكَّدت أنَّ أهل خراسان هم الذين يُوطِّئون للمهدي سلطانه عجل الله فرجه ، فيما الأبدال ، والعصائب ، والنجباء ، يُشكّلون رموزاً قياديَّة لثورات مهمَّة ، بل دُوَل - إلا في مصر ، حيث يكادون أن يستلموا الحكم فتهبُّ الروم وتخوض في وجههم معركة هائلة ، ثمّ تدعمهم أهل المغرب ، ثمَّ السفياني -

الأهم حسب النص هذا وغيره ، أنَّ كلَّ هذه الرايات إماميَّة ، ممدوحة ، وهي تُعلن تحالفها التام بالخراساني الإمامي الذي يُوطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانه .

إذاً ، رأسُ الهرمِ إعلانُهُم الولاءَ الكاملَ للمهديِّ عليه السلام الذي يُشكِّل « الخليفة الأوحديَّ » في آخر الزمن ، الذي تتماسك بين يديه الأمَّة التي

---

[1] عن علي بن عبد الله ، ابن الحسن ، ابن جهضم قال : سمعت إبراهيم ، ابن أحمد ، ابن علي العطار ..

[2] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١ ص ٣٠٠

تنادي بالولاء الإلهي في الأرض ، بما في ذلك قيادات من أهل خراسان كالخراساني والحسني وشعيب بن صالح ، واليماني ، والأبدال ، والعصائب ، والنجباء ، وغيرهم[1] ..

وهناك طائفة من النصوص صريحة جداً في أنَّ القيمة الوظيفيَّة للأبدال ، كقادة ومُؤثِّرين في الأحداث ، تكون في آخر الزمان . ففي رواية عبد الله بن زرير قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « تكون في آخر الزمان فتنةٌ ، تخلص الناسُ فيها كما تخلص الذهب في المعدن . قال علي : وما أدري يومئذ ما المعدن ، فلا تسبُّوا أهل الشام ، لكن سبُّوا شرارهم ، فإنَّ منهم الأبدال »[2] . إذاً دورُ الأبدال الإماميين التاريخي المتعاظم ، يكون في آخر الزمن ، زمن الغيبة والظهور .. تأكيداً منه عليه السلام على أنَّ « دور الأبدال » لافتٌ ومهمٌّ في شبكة الأحداث بزمن الغيبة ..

وفي نصٍّ تفصيليٍّ ، لنفس الراوي ، يُؤكِّد الحدثَ الهام في آخر الزمن ، حول انكسار شوكة أهل الشام ، أي الراية الباطلة ، التي تناوئ أهل

---

[1] ففي رواية عبيد الله بن محمد العبسي قال سمعت الكتاني يقول : النقباء ثلاثمائة ، والنجباء سبعون ، والبدلاء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد ، فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سيَّاحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تم مسألته حتى تجاب دعوته [تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١ ص ٣٠٠] . لنا : « لاحظ ، رأس الهرم ، المهدي عليه السلام ، وهو الأوحدي الذي يقود حركة التحرُّر من مكَّة ، ويقود الأرض إلى عمارتها الوجوديَّة تحت عدل الله تعالى .. » .

[2] تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١ ص ٣٣٤

الحقّ ، فقد روى « عبد الله بن زرير الغافقي » عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تكون في آخر الزمان فتنةٌ ، يحصل فيها الناس كما يحصل الذهب في المعدن ، فلا تسبُّوا أهل الشام ، ولكن سبُّوا شرارهم ، فإنَّ فيهم الأبدال[1] »[2] .

ثم يتابع فيقول عليه السلام : « يُوشك أن يُرسَل على أهل الشام سيبٌ من السماء ، فيغرق جماعتهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب لغلبتهم ، فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي (يعني المهدي عليه السلام) ، في ثلاث رايات ، المُكثر يقول : هم خمسة عشر ألفاً ، والمُقلُّ يقول : هم اثنا عشر ألفاً . إمارتهم (أي شعارهم) : « أمت أمت » ، يلقَون سبع رايات ، تحت كلِّ راية منها رجلٌ يطلب المُلك ، فيقتلهم اللهُ جميعاً . وردَّ اللهُ إلى المسلمين إلفيتهم ونعمتهم . . »[3] .

---

[1] وفي لسان العرب : .. فاتبع البدالا والأبدال : قوم من الصالحين ، بهم يُقيم اللهُ الأرض أربعون في الشام ، وثلاثون في سائر البلاد ، لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر ، فلذلك سموا أبدالا ، وواحد الأبدال العباد بدل وبدل ، وقال ابن دريد : الواحد بديل . وروى ابن شميل بسنده حديثا عن علي ، كرم الله وجهه ، أنه قال : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق . قال ابن شميل : الأبدال خيار بدل من خيار ، والعصائب عصبة وعصائب يجتمعون فيكون بينهم حرب (أي بينهم وبين غيرهم) . قال ابن السكيت : سمي المبرزون في الصلاح أبدالاً لأنهم أبدِلوا من السلف الصالح . قال : والأبدال جمع بدل وبدل ، وجمع بديل بدلي ، والأبدال : الأولياء والعباد ، سموا بذلك لأنهم كلّما مات منهم واحدٌ أبدل بآخر . وبدل الشيء : حرفه . وقوله عز وجل : « وما بدلوا تبديلاً » قال الزجاج : معناه أنهم ماتوا على دينهم غير مبدلين .. والجمع أبدال . [لسان العرب – ابن منظور ج ١١ ص ٤٩] .

[2] تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١ ص ٣٣٥/٣٣٤

[3] تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ج ١ ص ٣٣٥/٣٣٤

لاحظ :

النصُّ صريحٌ في بيان « حدث هائل » يكون في آخر الزمن ، وفي التفريق بين شرار أهل الشام وخيارهم ، حيث يُحدِّد الخيار بالأبدال الذين يشتهر عنهم ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام ونصرة المهدي عجل الله فرجه ..

واللافت أنّه في هذا النص يشير إلى « الحدث الشهير » الذي يقع في الشام ، بدمشق ، والصراع على « المُلك » وتعاقب الأحداث الخطيرة ، إلى أن ينتهي الأمر بانتصارٍ مظفَّرٍ لراية المهدي عليه السلام الذي يدخل دمشق ، وتنزل الشام كلها على حكمه ، ويقيم عاصمته في الكوفة ، ويخوض مِن هذه المنطقة حربَ العدالة الإلهيَّة في وجه الروم وغيرها ..

والنتاج العام يعني أنَّ للبنان دوراً بارزاً ، وحركةً مهمَّة جدَّاً ، في بناء مسارات آخر الزمن في بقعة هذه المنطقة الحسَّاسة من العالم ..

كما تكون للأبدال يدٌ ظاهرةٌ على اليهود وصدّهم وقهرهم ضمن أوصاف مختلفة[1] ، بل تكون جبهةُ الأبدال شريكاً ولائيَّاً مع الخراساني في

---

[1] يرى بعضهم أنَّ وجود اليهود آخر الزمان يكون في منطقة غور الأردن التي ستشهد معركة عنيفة ضد الدجَّال آخر الزمان . وغور الأردن يبدأ من بحيرة طبريَّة ثم يمتد إلى بيسان حتى ينتهي إلى زغر وأريما . ثم يضيف : قال الجغرافيُّون بعض الغور مِن حد الأردن إذا تجاوز بيسان كان حد فلسطين . مؤكِّداً أنَّ هذا الشريط الذي سيتواجد فيه اليهود والذي يبدأ من طبريّة إلى بيسان . وبهذا تكون الخلَّة التي أشارت إليها بعض المتون ، حيث يقصدها الدجَّال آخر الزمان . لنا : لكنَّ المشكلة تكمن في بعض الوهن الذي يصيب متن هذه النصوص فضلاً عن سندها . بالإضافة إلى ما يستفاد من طائفةٍ من الروايات حول تمكُّن دولة المهدي عليه السلام من هذه الأرض . نعم يمكن أن يكون للدجَّال طمع في السيطرة على هذه الأرض .

الحرب ضدّ السفياني[1] ، وكذا في حرب فتح إيلياء (تحرير بيت المقدس) ، فقد ورد في النص : « تخرج راية سوداء لبني العباس (إشارة إلى دولة بني العباس الأولى الظالمة) ، ثم تخرج مِن خراسان « أخرى » سوداء ، (إشارة إلى الراية الثانية وهي راية الخراساني الموطّئ للمهدي عليه السلام في آخر الزمن) : قلانسهم سود ، وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له « شعيب بن صالح » ، مِن تميم ، يهزمون أصحاب السفياني ، حتى تنزل بيت المقدس ، تُوطِئ للمهديِّ سلطانه ، ويمدُّ إليه ثلاثمائة من الشام .. »[2] .

أقول :

هذا النصُّ مترابط وواضح جداً ، وفيه من الدلالات الزمنيَّة شيءٌ ممتاز للغاية . في حين يفرّق بوضوح بين الرايات الموالية وغيرها ، بين راية بني العباس الأولى الظالمة ، وراية خراسان المُوَطِّئة للمهدي عليه السلام ، وهي راية الإماميين ، التي تحالفُها رايةُ الأبدال وتخوض معها حروب العدل في وجه الظلم ، كما تخوض معها حرب تحرير بيت المقدس . على أنّ دولة خراسان تشكِّل مركز القُطب لراية الأبدال والعصائب والنجباء ..

---

[1] وفي رواية محمّد بن مسلم عن الصادق عليه السلام : « إنّ السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل إمرأة » (الغيبة للطوسي ٢٧٣) . وفي بعض الروايات : « الكور الخمس هي : دمشق ، وفلسطين ، والأردن ، وحمص وحلب » . وفي رواية عبد الله بن منصور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إسم السفياني ؟ فقال : « وما تصنع بإسمه ؟ إذا ملك كور الشام الخمس ، دمشق وحمص ، وفلسطين ، والأردن ، وقنسرين ، فتوقّعوا الفرج .. » (كمال الدّين : ٦٥١) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٧/٢ الفتاوي الحديثيّة ٤٢) .

النصوص واضحة في أنَّ الأبدال يشاركون الخراساني في تلك المعركة التي يتمُّ فيها تحرير بيت المقدس ، بل يتمُّ واحد من التسلُّلات إلى فلسطين من هناك .. والأبدال هم راية إماميَّة تنادي بالولاء للمهديِّ عليه السلام ، وتكون نازلةً على حلفٍ كاملٍ مع السيِّد الخراساني ، وتناهض اليهودَ المحتلِّين ، بل يكون لها دور بارز في مناهضتهم .. وزمن الزحف الخراساني نحو إيلياء ، تكون جبهتُهم جبهةَ حرب أو عداء مع المحتلِّين اليهود .

على أنَّ « فلسطين » تُشكِّل مادَّةً ساخنةً بين الروم واليهود وحلفاءهم من جهة ، والخراسانيين من جهة أخرى ، بل تتحوَّل إلى ملف متفجِّر بعض الأحيان .. لذلك حين تحدَّث أهلُ اللاهوت عن أسباب النزاع بين الأشوري الخراساني المنادي بآل محمَّد ، وبين الغرب الرومي ؟ قالوا في الشروحات : « .. سيكون هناك تحالف غربي وتحالف شرقي ، وتكون فلسطين هي موضوع النزاع .. »[1] .! فعلاً شيئ مذهل ، وشديد الإنطباق على ما ورد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله في أحداث آخر الزمان وخروج رايات خراسان الإماميَّة التي تعلن ولاءها لأهل البيت عليهم السلام ولا تضع أوزار الحرب حتى تدخل القدس ، حيث تنصب راياتها في إيلياء (بيت المقدس) . وعليه : ستُشكِّل القدس عنواناً ضخماً وكبيراً في الملف الخراساني[2] ، وستظلُّ كذلك ، وستبقى إلى أن يتمَّ تحقيق هذه العناوين وتحرير بيت المقدس ..

---

[1] دانيال / ابرنسايد : ١٣٣

[2] أما أصحاب الرايات السود الايرانيين ، فهم أول الممهدين بل الموطِّئين للمهدي سلطانه ، وهم يظهرون قبل حركة السفياني ، بل تكون لهم دولةٌ مرموقة ، ومهمّة وضاربة في ميدان النفوذ والصمود وصناعة الأحداث ..

وسيكون للأبدال ، جبهةٌ ، ودولـةٌ ، وظهـورٌ ، وثبـاتٌ لافـت .. وهـذا يعني أنَّ لبنان سيكون حاضراً بقوَّة في أحداث آخر الزمان .. بـل هـم قطعـاً ، مـن « مـصاديق » أهـل اليقـين الـذين يناصـرون الحـقَّ ، ويقـاتلون الباطـل ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويُعادُون أهل الفساد والطاغوت . وفي الرواية عن النبي محمَّد ﷺ قـال : « .. سـيكون فـي آخـر هـذه الامـة قـومٌ ، لهـم مثـل أجـر أولهـم ، يـأمرون بـالمعروف ، وينهـون عـن المنكـر ، ويقاتلون أهل الفتن »[1] .

وعليه :

ستكون الراية الخراسانيَّة (مركز القطب) ،

فيما رايات :

١. الأبدال ،
٢. العصائب ،
٣. النجباء ،

ستحتلُّ حضوراً متنامياً .

ويبدو واضحاً من الأخبار أنَّ هذه الرايات ستكون ذات حلف كاملٍ مع السيِّد الخراساني الذي يُوطِّئ للمهديِّ سلطانه ، وفيما تصمد راية الأبـدال أمام جملة من الخضَّات الحربيَّة ، فإنَّ القـوى الدوليَّـة والإقليميَّـة ، تجـد فـي العراق ضرورةً مهمَّةً فتغزوه ، ومع قيام رايـة السفياني ، يُـشكِّل جيـشاً جبَّـاراً

[1] ابن حماد : صـ ٨٤

يكون من هدفه السيطرة على عرش العراق ، وقمع الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام بقوَّة ، فيعاني العصائب ، إلا أنَّ أهل خراسان ينجدونهم بقوَّة وبذل ، ويظلُّ العصائب على ثباتٍ وتضحياتٍ وجهادٍ حتى ظهور المهدي عليه السلام ،

أمَّا النجباء المصريُّون ..؟ فإنَّهم أوَّل ما يُعانُون مِن ملحمة الروم ، ثمَّ مِن جيشِ المغرب ، ثمَّ من طغيان السفياني ،

لكنَّهم مع ذلك ، يبدو من لوازم النصوص أنّهم يبقون في جيوبٍ ما ، لا نعرف تفاصيل حول هذا الأمر ، لكنّهم قطعاً ، يكونون بين يدي المهدي عليه السلام وفي صفِّ القيادةِ أيضاً مع الأبدال والعصائبِ والخراساني واليماني والسيِّد الحسني الطالقاني وشعيب بن صالح وغيرهم من عدد ألـ : ٣١٣ الذين يُشكِّلون نواة قيادة جبهة المهدي عليه السلام .

والملاحظ في النتيجة العامَّة :

أنَّ « مسارات التاريخ » في آخر الزمن ،
تكون على نحوٍ مُلتَهب . فيما النظام الدولي ، يكون
بهيكله وطبيعته ضدَّ أهل الإسلام ، بالأحرى : ضدَّ
الدُّول أو الرايات المتمسِّكة بالإسلام ..

ما يعني أنَّ « الجُهد » لهذه الرايات الدينيَّة الإماميَّة ، يكون على أصنافٍ متعدِّدة : ثقافيَّاً ، وسلوكيَّاً ، وأخلاقيَّاً ، وسياسيَّاً ، واقتصاديّاً ، وصولاً إلى ميادين الحرب والمعارك ..

ومع وقوع الحدث التاريخي الأعظم [أي ظهور مولانا المهدي المنتظر ﷺ] ، تبدأ الأرض تشهد تحوُّلاتٍ جبَّارة .. إلاَّ أنَّ الأرض تكون مثقلةً بالدمِ والقتل والإبادة والظلم والفساد والإنحراف الجبَّار الذي مارسهُ الأباطرة والطواغيت الذين حكموا مسارات النظام الدولي الجائر مدَّةً طويلةً من الزمن ..

لذلك يبدأ المهديُّ - روحي وأرواح العالمين له الفدا - شوطاً عظيماً من إعادة بناء الأرض والإنسان على نحوٍ من القسط والعدل الإلهي ، في ظلِّ أعظم موجة من الإطمئنان الوجودي الكريم ..

جعلنا اللهُ تعالى مِن أنصارِ وجند مولانا المهدي ﷺ ، فإنْ لم نُوفَّق لذلك ، اللهم فأمتنا على ولايتهم ، ولاية آل محمّد ﷺ وحبّهم ، والبذل في سبيل دين جدّهم المصطفى ﷺ ، واختم حياتنا بالشهادة ، فإنّها أعظم ما يُكرَمُ به المؤمن ، بمحمّد وآله الطاهرين . .

. . وأهدي ثواب عملي وجهدي ، وكلّ ما يمنُّ الله عليَّ بهِ من الأجر ، لأهلي وخالتي الحاجّة علويّة ، واخوتي وأخواتي ، وأنسابي وأسبابي وأرحامي جميعاً والمؤمنين والمؤمنات قربةً إلى الله تعالى . .

جعفر حسن عتريسي :

انتهيت منه ليلة الإثنين الساعة ١١,١٥ دقيقة ليلاً ، بعد يومٍ طويلٍ من الجُهد الذي أتعب بدني لكنَّ راحة قلبي فيه . .

فهرس



**** صدر للمؤلّف :**

- العولمة والعالم إدارة وأدوات .
- عقوبة الإعدام تحت المجهر .
- الإستنساخ جدل العصر .
- ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي .
- فضائح الملفات الساخنة في لبنان .
- فوضويّة العالم وميزان القوى .
- مِن وجع السنين . (كتاب أدبي)
- أمركة الأمم وصِدام الحضارات .
- التوراة والإنجيل والقرآن .
- الرأسماليّة تجتاح العالم .
- معين القرّاء في مجالس العزاء .
- ما قبل نهاية التاريخ (ظهور قائم آل محمّد ، المهدي ﷺ) : نـال الدرجـة « الأولى بامتياز » في مهرجان الكتـاب الـدولي لـوزارة الإرشـاد والثقافـة الإيرانية في مؤتمر سنة الولاية عام ٢٠٠٤ [سال ولايت] .
- العراق في قلب الإعصار (سقوط بغداد) .
- المرأة في الألفية الثالثة .
- حوار الحضارات والتصادم الأممي .
- الديمقراطيات الغربية في مواجهة الإنتشار الإسلامي .
- أفول نجم الامبراطورية الأمريكيّة .
- المفاهيم الإجتماعيّة والقيم الوجوديّة في الإسلام .

- قبل أن ينهار لبنان .
- نهاية أحداث التاريخ البشري : بقيّة الله الأعظم المهدي المنتظر ﷺ [المصلح الرباني وصانع العالم الجديد] (٣ أجزاء) .
- الحاكم والرعيّة .
- حزب الله الخيار الأصعب وضمانة الوطن الكبرى .
- فلسفة الحياة : بين النزعة الماديّة والمنظومة الوجوديَّة .
- بين الشرق والغرب : الإسلام هو الحل .
- إيران النوويّة والنظام الأوسطي الجديد .
- رايات أهل الولاية في عصر الظهور .
- المهدي المنتظر ﷺ ومعالم آخر الزمن .

لبنان – بيروت : [ت : ٠٣/٦٠٥١٢٩]